مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٣٢)

شروح رسائل

الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

المجموعة الأولى

(الأصول الثلاثة - القواعد الأربع - نواقض الإسلام
رسالته لأهل القصيم في بيان عقيدته)

تأليف
عَبْدالعزيز بنِ عبْدالله الرَّاجحي

شروح رسائل الإمام المجدد
محمد بن عبدالوهاب
المجموعة الأولى

الطبعة الثانية

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

تم الصف والإخراج في

مؤسسة عبدالعزيز الراجحي الوقفية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك علىٰ عبدالله ورسوله نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

فإن الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قام بالدعوة إلىٰ الله ﷻ؛ وترسَّم خُطى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، واقتدى بنبينا ﷺ في دعوته إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ وفي تعليمه للناس وإرشاده، فهو إمام هدى عليه رحمة الله، ولهذا أثمرت دعوته، ونفع الله بها، وانتشرتْ دعوتهُ في مشارق الأرض ومغاربها، وهدى الله علىٰ يديه خلقاً كثيراً. وذاك ـ والله أعلم ـ بسبب إخلاصه لربه سبحانه وتعالىٰ وصدقه ونصحه لعباد الله، وما زلنا نتفيأ ظِلالَ هذه الدعوة الوارفة وثمارها الطيبة.

وقد دعا رحمه الله الناس إلىٰ ما دعا إليه نبينا ﷺ وبقية الرسل عليهم السلام، فدعا الناس إلىٰ توحيد الله ﷻ وإخلاص الدين له، والقيام بأمره سبحانه وتعالىٰ وأداء حقوقه وحقوق عباده، فكان كلامه من القلب فنفذ إلىٰ القلب، وكان لصدقه وإخلاصه في دعوته أثر الطيب في تقبل الأمة لمؤلفاته وانتشار دعوته، التي أُلّف فيها المؤلفات القيّمة الكثيرة، الصغيرة

في حجمها ومبناها، الكبيرة في معناها، فجاءت قليلة الكلمات، محددة الهدف وجامعة في الأدلة، وهذا هو الأسلوب العلمي بخلاف الأسلوب الأدبي.

وهذا المجموع هو الأول من شروح رسائل الإمام المجدد، والذي يضم شروحا لرسائل تأصيلية مناسبة للمبتدئين، وهي: **(الأصول الثلاثة ـ القواعد الأربع ـ نواقض الإسلام ـ رسالة الإمام المجدد لأهل القصيم في بيان عقيدته)**، ولأهمية موضوعاتها، ومناسبة التأليف بينها في هذا المجموع، بشرح متوسط لهذه المتون، مع ذكر بعض التفاصيل والتنبيهات التي أرى الحاجة داعية إليها.

أسأل الله أن ينفع بها، وأن يجعل العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يرزقنا وإخواننا المسلمين الفقه في دينه، والبصيرة في شريعته، وأن يسدد الخطى، ويبارك في الجهود، وأن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه، إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

✍ **كتبه**
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي



شرح
الأصول الثلاثة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك علىٰ عبدالله ورسوله نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

فإن من مؤلفات الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي لقيت قبولاً ملحوظاً من علماء الأمة وطلبة العلم هذه الرسالة التي بين أيدينا، وهي «**رسالة الأصول الثلاثة**».

والأصول الثلاثة التي ذكرها رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا، كالتالي:

- **الأصل الأول:** معرفة العبد ربه.
- **الأصل الثاني:** معرفة العبد الإسلام بالأدلة.
- **الأصل الثالث:** معرفة نبينا محمد ﷺ.

وهذه الأصول الثلاثة هي التي يُسأل عنها الإنسان إذا وُضِعَ في قبره، وهي التي ذكرها ﷺ في قوله: «**فَإِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ وَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ ﷺ. فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ.**

وَأَمَّا الْكافِرُ والمُنَافِقُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ في هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا

تَلَيْتَ. ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً فَيَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ[١].

وفي رواية: «**يَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ**»[٢] كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة.

فهذه الأصول الثلاثة التي ألفها الإمامُ رسالةٌ عظيمةٌ، ولهذا صارت هذه الرسالة تُحفظ، يحفظها الطلبة الصغار والكبار، ولا يُستغنى عنها، وتُدرّس في المدارس، وفي المساجد، وهي من أول ما يبدأ به طالب العلم، فيما يتعلق بالعقيدة.

- حيث يبدأ بدراسة: «**الأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، ونواقض الإسلام، وكشف الشبهات**»، ثم يترقى إلىٰ: «**كتاب التوحيد**»، ثم «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ثم «**العقيدة الطحاوية**»، ثم «**الحموية**»، ثم «**التدمرية**»، ثم كتب السنة مثل: «**أصول السنة**» للإمام أحمد، وكتاب «**السنة**» لابنه عبدالله، وكتاب «**السنة**» للخلال، وكتاب «**شرح السنة**» للبربهاري، وغيرها.

والمؤلف الإمامُ المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ أتى بأسلوب علمي أصيل يفهمه كل أحد، ليس فيه حشو ولا تعقيد، ولا تكرار، ولا زيادة.

وكل كلمةٍ يتكلّم بها يُعقبها بالدليل، لأن الكلام لا يصح إلا بدليل، كما أنه يكون أثبت للمعلومة، وأقوم بالحجة.

---

(١) الثقلان: الجن والإنس.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، رقم (٤٧٥٣)، وأحمد رقم (١٢٢٧١)، والحاكم: كتاب الإيمان، رقم (١٠٧)، وقال الحاكم صحيح علىٰ شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ١٣٧).

فأنا أوصي أبنائي وإخواني بالعناية بهذه الرسالة بتدريسها للصغار والكبار، وتَفهُّم معانيها، فهي مختصرة، وحبذا لو شُرحتْ شرحاً مختصراً، أومتوسطاً، حسب مستوى الدارسين، أما إن أراد الإنسان أن يتوسع في شرحها فسيأتي شرحها في مجلدات؛ لما فيها من العلم والأدلة، المختصرة الألفاظ، الغنية بالمعاني.

وصلى الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

✍ **كتبه**

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«اعْلَمْ [١] رَحِمَكَ الله [٢]».

الشَّرْحُ

[١] يقول رَحِمَهُ اللهُ في مطلع هذه الرسالة: «اعْلَمْ» كلمة اعلم تعني: تيقن واجزم، فالعلم هو: حكم ذهن الجازم، وهو ما يتيقّنه الإنسان، لأن المدركات أربعة أنواع: العلم، الشك، الظن، الوهم. فالشيء الذي تتيقن فيه يُسمّى: علماً. وأما الشيء الذي تشك فيه وتتردد؛ فإن كان متساوي الطرفين متردداً بين اثنين لا يترجح أحدهما علىٰ الآخر يسمى: شكاً. وإن كان الأمر متردداً بين اثنين؛ فالراجح: يُسمى: ظناً، والمرجوح: يسمى: وهماً[١].

[٢] «رَحِمَكَ الله»؛ هذه جملة خبرية، والمقصود منها الدعاء، والمعنى: يرحمك الله[٢].

- وهذا من نصحه رَحِمَهُ اللهُ، يعلّمك ويدعو لك بالرحمة، والعلماء أنصح الناس للناس؛ كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ في رسالة الرد علىٰ الزنادقة: «يحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه! وكم من ضال تائه قد هدوه! فما أحسن أثرهم علىٰ الناس وأقبح أثر الناس عليهم!!»[٣] أي: أن أثر

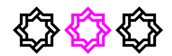
(١) انظر: معالم أصول الدين (١/ ٢٢)، ورفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب (١/ ٢٧٥).

(٢) قال ابن نجيم في البحر الرائق (٤/ ١٤٠) «رَحِمَك اللَّهُ أُخْرِجَ فِي صُورَةِ الْخَبَرِ ثِقَةً بِالِاسْتِجَابَةِ كَأَنَّ الرَّحْمَةَ وُجِدَتْ فَهُوَ يُخْبِرُ عَنْهَا».

(٣) انظر: الرد علىٰ الزنادقة والجهمية (١/ ٥٥).

العلماء علىٰ الناس حسن؛ يُعلّمونهم ويُرشِدونهم، وينقذونهم من الجهالات، بينما الناس يؤذونهم.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في أهل العلم: «هم من اهْتَدَى بِهِمُ الْحَائِرُ، وَسَارَ بِهِمُ الْوَاقِفُ. وَاسْتَقَامَ بِهِمُ الْحَائِدُ، وَأَقْبَلَ بِهِمُ الْمُعْرِضُ، وَكَمُلَ بِهِمُ النَّاقِصُ، وَرَجَعَ بِهِمُ النَّاكِصُ، وَتَقَوَّى بِهِمُ الضَّعِيفُ»(١).



(١) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٢٨٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أنهُ يَجبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ [١]:

* الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّه ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ [٢]».

الشَّرْحُ

[١] أي: اجزم وتيّقن ـ ولا تشك ولا تتوهم ـ أنه يجب عليك وجوباً ـ وليس نافلة ـ أن تتعلم هذه الأربعة مسائل، فإن لم تتعلمْها فإنك آثمٌ، لأن الواجب هو ما يثاب فاعله ويُعاقب تاركه(١).

فإذا تعلّمت هذه المسائل الأربعة فأنت مُثاب، وإذا تركتها فأنت مُعاقب، لأن من ترك تعلمَها فهو مُذنب عاص، لمخالفته الواجب؛ ثم ذهب الإمام يذكر هذه المسائل الأربع إجمالاً فقال:

[٢] **أولاً**: «العلم»: ـ فسره رَحِمَهُ اللَّهُ؛ بأنه معرفة الله عَزَّوَجَلَّ، ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، هذا واجب عليك.

- أما العلم بالله عَزَّوَجَلَّ فهو: العلم بأسمائه وصفاته، وأن الله عَزَّوَجَلَّ موجود، وأنه فوق العرش، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلىٰ التي سمى بها نفسه، وسماه بها رسوله ﷺ.

والعلم بأن الله هو الرب وغيره مربوب، وأنه الخالق وغيره مخلوق، وأنه المالك وغيره مملوك، وأنه المدبِّر وغيره مُدبَّر،

(١) انظر البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ١٤٠)، والتحبير شرح التحرير (٢/ ٨١٥)، والتقرير والتحبير (٢/ ١٥٢)، والمحصول للرازي (١/ ١١٨).

والعلم بأن الله هو المستحق للعبادة، لا يستحقها غيره، والعبادة هي الأوامر والنواهي، فتفعل الأوامر وتترك النواهي، وكذلك الْعِبَادَة «هي: اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة»[(١)]. فإن أنت عرفت هذا تكن عرفت الله ﷻ فالله ﷻ هو المستحق للعبادة كلها، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والدعاء، والذبح، والنذر، والاستعاذة، والاستغاثة، والتوكل، والخوف، والرجاء، وهذه الأنواع سيبينها المؤلف رحمه الله.

ومعنى ـ علمُك أن الله مستحق لها ـ أي: تعلم أنها حقه، ولا يجوز صرفها لغيره، فإن الله لا يرضى أن يصرفها العبد لغيره، لا لملَكٍ مقرَّب، ولا لنبيٍّ مرسلٍ، وهما أشرف الخلق جميعاً، فلا تصرف العبادة لا لجبريل؛ ولا لغيره من الملائكة، ولا لمحمد ﷺ ولا لغيره من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، إلا أن الرسول له حقٌّ وهو الطاعة والمحبة، والتعظيم، لكن ليس له حق في العبادة أو القصد بها، وبهذا تكون عرفت الله سبحانه وتعالى.

- وأما العلم بنبيه ﷺ فهو: أن تعرف أن نبيه محمداً بن عبدالله ابن عبدالمطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل ـ علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم ـ. وتعرف أنه بُعِثَ بمكة، كما سيبينه المؤلف رحمه الله.

- وأما العلم بدين الإسلام فهو: أن تعرف دين الإسلام بالأدلة، لا بالتقليد، وأنه: الاستسلام لله ـ تعالىٰ ـ بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، فالإسلام سُمّي الإسلام لما فيه من الاستسلام والانقياد لله، وتطيع أمره، وتتبرأ من الشرك وأهله.

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«* الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ [١]».

الشَّرْحُ

[١] **ثانياً**: «العمل به»: أي: العمل بما سبق من العلم، فإنه لا يكفي كونك عرفت الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وكونك عرفت نبيه ﷺ وعرفت دين الإسلام، بل لابد أن تعمل أيضاً بمقتضى هذا العلم.

- عملك بمقتضى العلم بربك هو: عملك بمقتضى علمك بأسمائه وصفاته، فهو أن تثبت له الأسماء الحسنى، وتُثبت له الصفات العُلى، وتعتقد أنه الخالق والمدبر، الرازق، المالك، الرب، وتعتقد أنه مستقل بالعبادة، هذا هو العمل، وتعتقد بقلبك، وتعمل بجوارحك، فتصرف العبادة لله كالصلاة والصيام، والزكاة، والحج.

- عملك بمقتضى علمك بنبيك ﷺ هو: أن تعتقد أن نبيك محمد ﷺ، ووجوب اتباعه وتعظيمه ومحبته، وتصديق أخباره، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، والعمل علىٰ تحقيق هذا الاتباع في أعمالك كلها.

- عملك بمقتضى معرفتك بدين الإسلام هو: أن تستسلم لله ﷻ بالتوحيد وتنقاد لله بالطاعة، باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وتتبرأ من الشرك وأهله.

فإن أنت عملت بهذا تكون قد حققت الأمر الثاني، وهو العمل بمقتضى علمك بالله، ونبيه ﷺ، ودين الإسلام بالأدلة.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«* الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ [١].

* الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ [٢]».

الشَّرْح

[١] **ثالثاً**: «الدعوة إليه»: إذا مَنَّ الله عليك بالعلم والعمل، فإنه يجب عليك أن تدعوَ الناس إلىٰ هذا الخير، الذي مَنَّ الله عليك به، فتدعو الناس إلىٰ الإيمان بالله، والإيمان بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والإيمان بربوبيته، والإيمان بأنه يستحق العبادة.

وتدعو إلىٰ الإيمان بمحمد ﷺ والاعتقاد بأنه الرسول وأنه خاتم النبيين، فلا نبي بعده، وأنه الرسول إلىٰ الثقلين الجن والإنس.

وتدعو إلىٰ دين الإسلام، وتدعو الناس إلىٰ أن يُوحدوا الله، وينقادوا له بالطاعة، ويتبرؤوا من الشرك وأهله، ويمتثلوا الأوامر ويجتنبوا النواهي، وبذلك تكون دعوت إلىٰ الله سبحانه وتعالى.

[٢] **رابعاً**: «الصبر علىٰ الأذى فيه»: يعني: إذا عَلِمت ثم عَمِلت، ثم دعوت الناس إلىٰ التوحيد، فإنه لابد أن يُصيبك أذى، لأن الذي يدعو الناس يقف أمامهم، ويقف أمام رغباتهم وشهواتهم؛ فيمنعهم من أن يُباشِروا الأعمال التي يهوَوْنَها، فإذا منعهم آذوه؛ إما بالقول أو بالفعل.

- فاصبر علىٰ الأذى الذي يصيبك بالقول بالسب أو الشتم أو الاعتداء باليد، ولابد أن تصبر فإذا لم تصبر انقطعت، فتصبر علىٰ

الذي يصيبك من سِباب وشَتم وضرب وسجن.

- والأنبياء عليهم السلام - وهم القدوة والأُسوة - أوذوا علىٰ هذا فصبروا، نوح؛ مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهم يُؤذونه، ويتهمونه بالجنون تارة، وبالسحر تارة؛ وكذلك هود، وصالح، وموسى، وعيسى، وشعيب، ونبينا - عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم - أصابه ما أصابه، وُضع السلا[1] علىٰ رقبته - عليه الصلاة والسلام -[2]، وخنقه بعض الكفار، حتى جاء أبو بكر وذب عنه[3]، وحاولوا قتله ﷺ مرات.

- فطريق الدعوة ليست مفروشة بالورود، ولا بد من الصبر والذي لا يصبر ينقطع، ولهذا قال الله ﷻ للنبي ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

الخلاصة:

هذه هي الأمور الأربعة التي يجب علىٰ المسلم أن يتعلمها:

١- **العلم.**

٢- **العمل به.**

٣- **الدعوة إليه.**

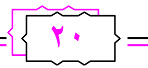
٤- **الصبر علىٰ الأذى فيه.**

---

(١) السلا: لفافة الولد من الدواب والإبل، وهو من الناس المشيمة. لسان العرب (٦/ ٣٤٩).

(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، رقم(١٧٩٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا**»، رقم (٣٦٧٨).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«والدليل [١]، قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ [٢]: ﴿وَٱلْعَصْرِ [٣] ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ [٤]﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟[٥] وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ[٦] وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ[٧] وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ [٨]﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣]».

الشَّرْح

[١] لما حكم المؤلف رَحِمَهُ اللهُ علىٰ تعلم هذه الأمور بالوجوب، فقد ذهب يستدل علىٰ ذلك.

[٢] هذه الآية هي الدليل علىٰ المسائل الأربعة التي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ اللهُ، وأنه يجب علىٰ الإنسان: أن يتعلّمها، ويعمل بها، ويدعو إليها، ويصبر عليها.

[٣] في هذه الآية يقسم الله بالعصر، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ الواو: واو القسم، والقسم للتأكيد، والعصر: هو الزمان - علىٰ الصحيح -[1]؛ لأنه محل الزوال، واكتساب الحسنات والسيئات، أي: محل العمل. والعصر هو المقسم به.

[٤] قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾: هو المقسم عليه، و﴿إِنَّ﴾ للتأكيد، واللام في ﴿لَفِى﴾ للتأكيد، فيصير فيها ثلاثة مؤكدات، والألف واللام في ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ للجنس، أي: جنس الإنسان؛ في خسارة وفي هلاك[2]. فأقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ هذا الأمر،

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٧٨) والدر المنثور (٨/ ٦٢٢).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٢٢)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٨٠).

وهو الصادق وإن لم يُقسم، ولكنْ لتأكيد المقام.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخسار مراتب متعددة ومتفاوتة: قد يكون خساراً مطلقاً، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم. وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات»[1].

وهي قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾، فهؤلاء هم الرابحون، استثناهم الله من الخُسران.

[٥] أي: الإيمان الصادق المبنيُّ علىٰ علم، فليس هناك إيمان صحيح إلا بالعلم، وهذا العلم هو المسألة الأولى.

[٦] هذه هي المسألة الثانية؛ أي: العمل بالعلم، والصالحات: هي أداء الواجبات وترك المحرّمات.

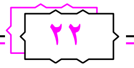
[٧] هذه هي المسألة الثالثة، أي: الدعوة إلىٰ الله، ـ ووصفها ـ بأنها الدعوة إلىٰ الحق.

[٨] وهذه هي المسألة الرابعة، أي: الصبر علىٰ ما سبق من المسائل الثلاث.

فالناس كلهم في خسارة وهلاك؛ إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع التي هي: الإيمان المبني علىٰ العلم، والعمل، والتواصي بالحق وهو الدعوة إلىٰ الله، والتواصي بالصبر؛ فمن استكمل هذه الصفات وأقامها واستقام عليها كَمُلَ ربحه، فهو الرابح، ومن ضيّعها كمل خسرانه، ومن نقص شيئاً منها فاته من الربح، وحصل علىٰ شيء من الخسران بقدر نقصه من هذه المسائل.

---

(١) انظر: تفسير السعدي (٩٣٤).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله تَعَالَى: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ(١) [١]».

الشَّرْحُ

[١] أي: أن هذه السورة لو ما أنزل الله علىٰ خلقة حجةً إلا هي لكفتهم، لما فيها من إقامة الحجة عليهم، ففيها بيان أن الرابحين هم الذين يتصفون بهذه الصفات، وأن من فقد هذه الصفات فهو خاسر.

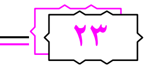
وليس معنى ذلك أنها تكفيهم في تفصيل أمور الشريعة، إذ أن التفاصيل لابد منها، لمعرفة أحكام الصلاة، وأحكام الصيام، وأحكام الحج وغير ذلك من العبادات والمعاملات، لكن مقصود الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنها تكفيهم في إقامة الحجة عليهم، لأن هذه السورة أوجبت علىٰ الإنسان أن يتعلّم ويعمل ويدعوَ ويصبر، وَبّينت أن هذه الصفة صفة الرابحين، وأن من فقدها فهو الخاسر. وقد أنزل الله ﷻ غير هذه السورة من الحجج ما لا حصر له في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه السورة ميزان للأعمال يزن المؤمن بها نفسه، فيبين له بها ربحه من خسرانه»(٢).

۞۞۞

(١) انظر: تفسير الشافعي (٣/ ١٤٦١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ١٥٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٠٣).

(٢) انظر: لطائف المعارف (٣٠٠).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَقَالَ البُخَارِيُّ [١] رحمه الله تَعَالَى: (بَابُ: الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ[٢])».

الشَّرْحُ

[١] البخاري هو: الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ست وخمسين ومائتين من الهجرة، صاحب الصحيح، إمام من أئمة أهل السنة والجماعة، المُحدّث المشهور(١). كتابه: (صحيح البخاري) أصح الكتب بعد كتاب الله عند المحققين، وعند كثير من أهل العلم وأهل الحديث، وبعض العلماء قدّم صحيح مسلم لكن الذين قدموا صحيح مسلم إنما قدّموه من جهة الصناعة الحديثية ومن جهة الترتيب، وإلا فإن صحيح البخاري أصح الكتب، ومسلم تلميذ البخاري.

[٢] أي: أن العلم مقدّم علىٰ القول والعمل، فبداية يجب التعلم، ثم من بعده القول والعمل، فالعلم إمام لهما، لأن الإنسان إذا عَمِل، بدون علم صار عملُه في ظلام، وصار في ضلال، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قسّم الناس في سورة الفاتحة ـ وهي أم القرآن ـ إلىٰ ثلاثة أقسام، فبعد أن حَمِدَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نفسه وأثنى عليها، ومجّدها، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩١)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٧)، والوفيات (١/ ١٨٠)، وتاريخ بغداد (٢/ ٣٢٢)، وهدى الساري مقدمة فتح الباري (١/ ٤٧٩).

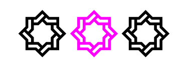
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفَاتِحَة: ٢-٤]، ثم بيّن أنه مستحقٌ للعبادة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفَاتِحَة: ٥]، ثم جاء بعدها الدعاء، هذا الدعاء العظيم، أعظم دعاء وأجمعه وأفضله وأنفعه.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفَاتِحَة: ٦-٧]؛ **فالله ﷻ قسّم خلقه إلىٰ ثلاثة أقسام:**

- قسم أنعم عليهم: وهم الذين منَّ الله عليهم بالعلم والعمل.
- قسم مغضوب عليهم: وهم الذين يعلمون ولا يعملون.
- قسم ضالون: وهم الذين يعملون بدون علم.

لذا فنحن نسأل الله ﷻ في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهم المؤمنون العاملون بما يعلمون ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الذين عَلِموا ولم يَعْمَلوا، فصاروا غاوين .﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: ولا طريق الضالين الذين هم في جهل وضلالة.

- وحاجة الإنسان إلىٰ هذا الدعاء أعظم من حاجته إلىٰ الطعام والشراب، وأعظم من حاجته إلىٰ النفَس الذي يتردد بين جنْبيه، لأن الإنسانَ إذا فقد الطعامَ والشرابَ والنفسَ مات الجسدُ، والموتُ لابد منه إن عاجلاً أو آجلاً، ولا يضر الإنسانَ موتُ الجسد إذا كان مستقيماً علىٰ طاعة الله، وكان قلبه سليماً حياً، لكن إذا مات قلبه بفقد الهداية فإنه يموت قلبه وروحه وصار إلىٰ النار.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ [١] أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ [٢] لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ.

اعْلَمْ ـ رَحِمَكَ الله ـ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ:[٣]».

الشَّرْح

[١] في هذه الآية قال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ﴾، وهذا العلم.

[٢] هذا العمل، الذي أشار إليه الإمام بقوله: «فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ».

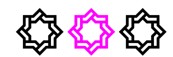
- سُئِلَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ فَضْلِ الْعِلْم، فَقَالَ: «أَلَمْ تَسْمَعْ إلىٰ قَوْلِهِ حِينَ بَدَأَ بِهِ فَقَالَ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْعَمَلِ بعد ذلك فَقَالَ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾»[١].

[٣] أي: أنه يجب علىٰ كل مسلم ومسلمةٍ تعلّم هذه الثلاث مسائل والعمل بهن، فإذا لم يتعلّمهن صار آثما عاصياً، لأن الواجب ـ كما مر بنا ـ هو ما أثيب فاعله، وعُوقِبَ تاركه، كالصلاة، فمن صلى أثابه الله، ومن لم يُصلِّ عاقبه الله، كذلك بر الوالدين، فمن برَّ والديه أثابه الله، ومن لم يبر والديه عاقبه الله.

- فهذه المسائل الثلاث يجب علىٰ كل مسلم ومسلمة أن

(١) انظر: حلية الأولياء (٧/ ٢٨٥).

يتعلّمهن وأن يعمل بهن، فمن تعلّمهن وعَمِلَ بهن أثابه الله، ومن لم يتعلّمهن ولم يعمل بهن، أو تعلمهن ولم يعمل بهن فهو مُعاقَب آثم، فتعلم هذه المسائل فرض علىٰ الإنسان كما أنه فُرض عليه أن يتعلم المسائل الأربعة الأوَل: «العلم بالله ﷻ وبنبيه ﷺ وبالإسلام، والعمل بمقتضى هذا العلم، والدعوة إليه، والصبر علىٰ الأذى»، إذن فتعلُّم هذه المسائل فرضٌ وليس نافلةً، يتعلّمهن ثم يعمل بهن.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«* الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ[١]؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ [٢] إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ [٣] كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا [٤] ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا [٥] ﴿١٦﴾﴾ [المُزّمل: ١٥-١٦]».

الشَّرْح

[١] **بيان المسألة الأولى**: أن تعلم أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، وهذا الرسول جاء بالأوامر والنواهي، وأنزل الله عليه القرآن، وأعطاه السنة وهي وحي ثانٍ، فمن أطاع هذا الرسول ممتثلاً الأوامر دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، لا بد أن تعلم؛ أنك مخلوقٌ لهذا، ما خُلِقت كالبهيمة تأكل وتشرب، بل مخلوق لتعمل.

[٢] وهذا خطاب لهذه الأمة، أي إنا أرسلنا إليكم يا أمة محمد.

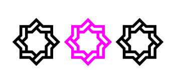
[٣] وهو محمد ﷺ.

[٤] أي: كما أرسل الله إلىٰ فرعون ـ الطاغية في زمانه ـ رسولاً هو: موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

[٥] أي: عصى فرعون موسى عليه السلام فأخذه الله سبحانه وتعالى أخذاً شديداً، فقد أهلكه الله وأتباعه، وأغرقهم، فصارت أجسامهم إلىٰ

الغرق، وأرواحهم إلىٰ النار والحرق ـ نعوذ بالله ـ.

- وفي هذه الآية دليلٌ علىٰ أن من لم يُطع الرسل فإن الله يأخذه ويُعاقبه، كما عاقب الله فرعون.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«* الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ [١] فِي عِبَادَتِهِ [٢]، لا مَلَكٌ مُقَرَّب، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا [٣] ﴿١٨﴾﴾ [الجنّ: ١٨]».

الشَّرْحُ

[١] **بيان المسألة الثانية:** أن نعلم أن لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حقًّا، وأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له حق، فلا تخلط بين الحقوق، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حقه العبادة وحده، والعبادة لا تصح إلا بإخلاصٍ لله، والمتابعة لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالعبادة لا تصح إلا بهذين الشرطين: الإخلاص، والمتابعة؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

[٢] العبادة هي الأوامر والنواهي.

وتعريفها: «اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة».

- والعبادة هي: غاية التعظيم، فلا يحق، إلا لمن له غاية الإنعام: وهو الخالق الرازق، المحيي المميت، المثيب المعاقب، الذي منه أصول النعم وفروعها، فإذا وجهت إلىٰ غيره وتعالىٰ علواً كبيراً أن تكون هذه الصفة لغيره، لم يكن إلا ظلماً وعتواً وغياً وكفراً

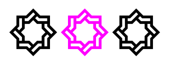
وجحوداً، وخروجاً عن الصحيح النير إلىٰ الفاسد المظلم، فما ظنك بمن وجه عبادته إلىٰ جماد ليس به حس ولا شعور؟(١).

فالصلاة من العبادة لذا فهي حق الله وحده، وهو لا يرضى أن تصلي للنبي ﷺ، أو تصلي لجبريل، أو للقمر، وكذلك الصوم والحج فلا تصوم أو تحج للرسول، وكذلك الدعاء لا يرضى أن تدعوه وتدعو الرسول، وما يرضى أن تذبح له وتذبح للرسول، وما يرضى أن تتوكل عليه وتتوكل علىٰ الرسول.

[٣] كلمة: ﴿أَحَدًا﴾ نكرة سبقها نهي، والقاعدة عند الأصوليين أن النكرة إذا سبقها نهي أو نفي فإنها تَعمّ، ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ عامة، فكل ما سوى الله أحد، لا تدع مَلَكًا ولا نبيًّا، ولا بشراً، ولا حجراً، ولاجنًّا، ولا جماداً، ولا غير ذلك.

قال ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٦].

وقال ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالىٰ: أَنَا أَغْنَى الشّرَكَاءِ عَنِ الشّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(٢).



(١) تفسير الإمام الشافعي (٣/ ١٤٦١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/ ١٥٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٠٣).

(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ، رقم (٢٩٨٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«* الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ[١]».

الشَّرْحُ

[١] **بيان المسألة الثالثة**: يعني من أطاع الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وامتثل أوامره واجتنب نواهيه، وصَدَّقَ أخباره، ووحد الله وأخلص له العبادة وحده، وكانت العبادة موافقة لشرع الله، وصبر علىٰ عهد رسول الله ﷺ، لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله، والموالاة تعني المحبة، والمحاد لله ﷻ ورسوله ﷺ، هو المشاق لهما المفارق للدين، وهو الكافر، فالكافر لا يجوز موالاته ولا محبته.

وهذا من أصول الدين، وهو الولاء والبراء، فالمسلم الموحد لا يحب الكافر ولا يوادّه؛ بل يُبغِضُه ولو كان أقرب قريب، حتى ولو كان أباه أو أمه، أو أخاه بالنسب يُبغضه ديناً ولا يحبه ويعتقد أنه عدوٌّ له؛ فقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المُمتَحنَة: ١].

قال البغوي: «أَخْبَرَ أَنَّ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ يَفْسُدُ بِمُوَادَّةِ الْكَافِرِينَ وَأَنَّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا لَا يُوَالِي مَنْ كَفَرَ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَشِيرَتِهِ»[١].

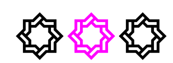
(١) انظر: تفسير البغوي: (٥/ ٥٠).

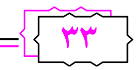
الكفار علىٰ قسمين:

- **القسم الأول:** المحاربون، أي: الذين يحاربوننا، وهؤلاء يُقاتَلون، وليس بيننا وبينهم إلَّا القتال، لا يُطعَمون ولا يُسقوْن، بل يترك أحدهم إن كان عطشان أو جائعاً حتى يموت، لأنه عدوٌّ لك ويقاتلك.

- **القسم الثاني:** غير المحاربين، وهم الذميون، بيننا وبينهم عهد، كأن يدخلوا البلاد بأمان أو عهد، فلهم ذمة، لا يُقاتلون ولا يخرجون من ديارنا، فهؤلاء لا بأس أن نبرهم، ونكسوهم، ولكن لا نُحبهم محبة دينيةً؛ بل نبغضهم ونعتقد أنهم كافرون وأنهم أعداء لله، ونتبرأ من دينهم، لكن نُحسِن إليهم، ونُطعمهم ونسقيهم، ونعاملهم معاملةً حسنةً، وقد يكون هذا من أسباب دخولهم في الإسلام.

قال الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [المُمتَحنَة: ٨-٩].





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ [١] وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ [٢] أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ [٣] وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ [٤] وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ [٥] رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ [٦] وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ [٧] أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ[٨] أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]».

الشَّرْح

[١] هذه الآية من سورة المجادلة دليل علىٰ ماسبق، فلا تجد مؤمناً يودُّ الكافر ويحبه، فإذا ودَّ الكافر وأحبه صار مثله، إذا أحب الكافر لكفره صار كافراً مثله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٥١]؛ ومن أحبهم لدينهم فهو منهم.

[٢] أي: لا يحبون الكافر ولو كان من آبائه، ولو كان ابنه، ولو كان أخاه، ولو كان من عشيرته، هؤلاء المؤمنون لا يوادون إلا المؤمنين.

[٣] لأنهم يوالون في الله، ويُعادون في الله، فثبت في قلوبهم الإيمان.

[٤] أيدهم بروح منه؛ حيث استقاموا علىٰ طاعة الله، وأحبوا في الله، وأبغضوا في الله، فأيدهم سبحانه بملائكته وبما جعل الله

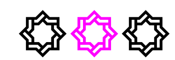
في قلوبهم من الإيمان.

[٥] هذا ثوابهم وجزاؤهم، وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ معناه: لا يرحلون عنها ولا يفارقونها.

[٦] فيه: إثبات الرضا لله فرضي الله عنهم حيث أنهم موحدون مخلصون له بالعبادة.

[٧] حيث أنه ﷻ أحلّهم دار كرامته.

[٨] هم أولياء الله وأحبابه. وأما حزب الشيطان فهم الذين يوادُّون الكفرةَ ويحبونهم، وهم الخاسرون، لما بذلوا من المودة للكافرين، فشابهوهم، وانتفى عنهم الإيمان.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«اعْلَمْ ـ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ [١] ـ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ [٢]، مُخْلِصاً [٣] لَهُ الدِّينَ وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُم لَها؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذّاريَات: ٥٦] وَمَعْنَى ﴿يَعْبُدُونَ﴾: يُوَحِّدُون، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّركُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النِّسَاء: ٣٦].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التي يَجِبُ عَلى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ».



[١] أي: أسأل الله لك الرشاد، أي: أن يرشدك الله لطاعته ويوفقك لها.

[٢] الحنيفية ملة إبراهيم، هي: عبادة الله مع الإخلاص، وسميت الحنيفية من الحنف والميل[١]؛ لكونها مائلةً عن الشرك إلىٰ التوحيد، ولهذا تسمى: الملة العوجاء، لأنها مائلة عن الشرك إلىٰ التوحيد، فهي بالنسبة للتوحيد ملة مستقيمة، وبالنسبة للشرك ملة

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (٩/ ٥٧): «وحَنَفَ عَنِ الشَّيْءِ وتَحَنَّفَ: مَالَ. والحَنِيفُ: المُسْلِمُ الَّذِي يَتَحَنَّفُ عَنِ الأَدْيانِ أَي يَمِيلُ إِلَى الْحَقِّ».

حنيفة مائلة عنه، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾ [الأنعام: ١٦١].

إذن: فالحنيفية سميّت حنيفية ﴿حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا﴾ [آل عِمرَان: ٦٧]، ولكونها مائلة عن الشرك إلي التوحيد، قال ﷺ: «**أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**»[1].

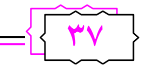
[٣] **الإخلاص هو**: أن تعبد الله ولا تعبد غيره، لا تشرك معه غيره، لأن المشرك يعبد الله، فالمشركون الذين بُعِث إليهم الرسول ﷺ يُصلّون ويصومون ويتصدّقون، ويحجون ويذكرون الله كثيراً، لكنهم يشركون مع الله غيره، يدعون الله ويدعون معه غيره، يذبحون لله ويذبحون لغيره، ينذرون لله وينذرون لغيره.

وبما أن العبادة حق لله وحده، فلابد من الإخلاص فيها بأن توّجه له ـ دون غيره، وهذا هو الفرق بين دين المشركين ودين المسلمين.

ما الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام؟

الجواب: فسر المؤلف رحمه الله الحنيفية بأنها أن تعبد الله، بأن تصرف العبادة لله، تعبد الله بالصلاة، وتعبده بالصوم، والحج، والدعاء، والذبح، والنذر، وببر الوالدين، وصلة الرحم، والإحسان إلىٰ الجيران، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبكفّ نفسك عن الفواحش، وعن المحرّمات، تعبد الله ـ مخلصاً له الدين. فالعبادة لا تكفي وحدها، بل لابد معها من الإخلاص.

(١) علّقه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان. بَابُ الدِّينُ يُسْرٌ، وَقَوْلُ النبي ﷺ: «**أَحَبُّ الدِّينِ إِلىٰ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**» (١/ ٢٣).



الأصل الأول: معرفة الله ﷻ

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ [١]؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ [٢] الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ [٣] وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٢]

وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم[٤]».

الشَّرْحُ

[١] الرب في اللغة يطلق علىٰ الحافظ الراعي وعلىٰ الخالق المربي، والرب يطلق علىٰ المالك والسيد والمدبر والقيم والمنعم(١).

والمصنف رَحِمَهُ اللهُ فسر الرب هنا بكلمتين: الخالق والمعبود، وهذا تعريف الرب عند الإطلاق فإنه يدخل فيه معنى الألوهية، وهذا بإجماع السلف. كما أن كلمة الله عند الإطلاق: معناه الخالق المعبود، أما عند الاقتران فتتضمن قاعدة: «إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا»، أي: إذا قيل لك: من ربك؟ فهو يعني الخالق المعبود، وكذلك «الله» إذا مرت عليك وحدها، لكن لو اجتمعا في سياق واحد «الله والرب»، فهنا يختلف، فتُعرف «الرب» بالخالق، و«الله» بالمعبود، فعند الافتراق يتسع، ويضيق عند الاجتماع.

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٧٩).

[٢] أصل «الله»: «الإله»[(١)]، سُهّلت الهمزة، ثم التقت اللام واللام فشددتا، ومعناه ذو الألوهية، والألوهية معناها: العبادة، فهو الذي تألهه وتعبده القلوب محبةً وإجلالاً، وخوفا ورجاءً وتعظيماً، وهو أعرف المعارف، وهو من أسمائه ﷻ التي لا يُسمى به غيره. فاسم «الله» عَلَمٌ علىٰ الذات المقدّسة، ولا يُسمى به غير الرّب ﷻ، ولم يتسمَّ بهذا الاسم أحد أبداً، حتى الجبابرة، حتى الطواغيت والكفرة، ما أحدٌ منهم سمّى نفسه «الله» أبداً، فرعون قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النَّازعَات: ٢٤] ولم يقل: «أنا الله».

أسماء الله ﷻ قسمان:

١- **قسم خاص به:** لا يسمى به غيره مثل الله، رب العالمين، خالق الخلق، مالك الملك، القابض الباسط، والخافض الرافع، النافع الضار، المعطي المانع. ومن هذا النوع: الرحمن، ولهذا لما تسمى مسيلمة الكذاب بالرحمن لزم ولصق به وصف الكذب، فلا يطلق مسيلمة إلا ويوصم بالكذب؛ لأنه تسمى بالرحمن ـ قبحه الله ـ وهو كذاب.

٢- **وقسم مشترَك:** يُطلق علىٰ الله ﷻ وعلىٰ غيره، وإذا سُمَّي الله به فله الكمال، وإذا سُمّي المخلوق فله منه ما يُناسبه، مثل: الرحيم، والسميع، والبصير، والعليم، والقدير، والحي، كل هذه أسماء مشتركة، ومنها: «المَلِك»، فهو من أسماء الله، كما أنه يُسمى به المَلِكُ من ملوك الدنيا، لكن مُلك الله كامل ومُلك المخلوق ناقص، ومسبوق بالعدم، ويلحقه العدم أيضاً وذلك بالزوال.

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٣٦٧).

وكذلك أيضاً: «الحي»، من أسماء الله، والمخلوق حي، والله له الحياة الكاملة، والمخلوق له حياة تناسبه، حياته ضعيفة يلحقها النوم والموت والضعف والفساد، لكن حياة الله كاملة.

[٣] **تربية الله للخلق نوعان:**

١- **تربية عامة**: تشمل المؤمن والكافر، فالله ـ تعالىٰ ـ ربى جميع الخَلق بنعمه، خلق المؤمن والكافر، ورزقهم، وأعطاهم السمع والأبصار، والأفئدة، وأنعم عليهم بالنعم، وأدرّ عليهم الأرزاق.

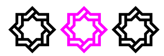
٢- **تربية خاصة**: خاصة بالمؤمن؛ وهي تربيته بالإيمان، والعمل الصالح، بأن وفقه الله وهداه، وهدى قلبه وجعله يقبل الحق ويرضاه ويختاره، ويُؤثره علىٰ غيره، هذه ثروة دينية خص الله بها المؤمن دون الكافر، فجعله يحب الإيمان، وزيّنه في قلبه، وجعله يكره الكفر والفسوق والعصيان، وجعله راشداً، كما قال ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ﴾ [الحُجرَات: ٧-٨].

[٤] فهذا هو الدليل على أن الله هو الرب وهو المستحق للعبادة، (أل) في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ للاستغراق، فجميع أنواع المحامد لله، ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] أي: مربيهم جميعهم، خالقهم وموجدهم والمنعم عليهم.

من هم العالمون؟

الجواب: قال المؤلف ﵀: «**كل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم**» أنا وأنت من ذلك العالم، والسماوات عالم،

والأرضين عالم، والجن عالم، والإنس عالم، والملائكة عالم، والأشجار عالم، والبحار عالم، وكل ما سوى الله عالم، وهذه العوالم كلها ـ العلوي منها والسلفي ـ ربها هو الله، ويدل على هذا قول موسى عليه السلام لما سأله فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤] وقد جاء عن مجاهد والحسن وقتادة أنهم جميع المخلوقات[١]، ونقل القرطبي قول قتادة بأنه كل ما سوى الله[٢]، وعن الزجاج من أهل اللغة: كلُ مَا خلق الله[٣]، وفي كلام شيخ الإسلام ابن تيمية[٤]، وابن كثير[٥]، وأما العالمين في قولُه ﷻ: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١] فالمراد الإنس والجن، فكلمة ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ لها في القرآن إطلاقات، كما أن لكلمة الأمة في القرآن إطلاقات.



(١) تفسير البغوي (١/ ٥٢).
(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٣٨).
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٤٦).
(٤) تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٤/ ١٦٨، ٣٩٧)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ١٢٥).
(٥) تفسير ابن كثير (١/ ١٣١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ [١] السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ والأَرَضُونَ السَّبْعُ ومَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾ [فُصِّلَت: ٣٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا [٢] وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ [٣] أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤] [٤]».

الشَّرْحُ

[١] لأن الله تعالىٰ أعطاك السمع والبصر والعقل، يشاهد هذه الآيات، ويراها، فهي دليل عليه، كما قال الشاعر(١):

وفي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

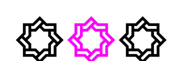
[٢] يعني: يغطي الليل والنهار بعضهما، فإذا انتهى النهار جاء الليل وغطاه، وإذا انتهى الليل جاء النهار وأزاله، فالليل يطلب النهار، والنهار يطلب الليل، ﴿حَثِيثًا﴾ أي: سريعاً.

(١) هو: أبو العتاهية، والبيت في ديوانه (١/ ٤٥).

[٣] أي: سخرها الله ـ بأمره، فالشمس سخرها ـ فهي كل يوم تشرق من الشرق، وتغرب من الغرب، والقمر كذلك مسخر، من أول الشهر يخرج دقيقاً صغيراً ضعيفاً، ثم لا يزال ينمو؛ حتي يكتمل نموه في منتصف الشهر، ثم يضعف.

وهكذا مَثُل الإنسان؛ يبدأ طفلاً، ثم شاباً، ثم شيخاً، ثم هَرِماً، ثم يموت، وهكذا القمر.

[٤] هذه الآية فيها: دليل علىٰ معرفة الله بآياته ومخلوقاته.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَالرَّبُّ هُوَ المعْبُودُ [١]، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [٢] (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا [٣] وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِير ـ رحمه الله تَعَالَى ـ: الخَالِقُ لِهذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ[١].

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: [٤]».

الشَّرْحُ

[١] والرب هو المعبود، فمعنى قوله: ﴿رَبَّكُمُ﴾ أي: معبودكم، وهو المستحق للعبادة، لأنه هو الذي ربى العباد بنعمه، خلقهم وأوجدهم فهو المعبود.

[٢] هذه أول آية في القرآن فيها الأمر بالتوحيد.

[٣] هذا هو النهي عن الشرك، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] أي: أمثالاً ونُظراء تصرفون لهم العبادة.

[٤] وهذا من فضل الله علىٰ عباده أن شرع لهم أنواعاً عديدةً من العبادات يتقربون بها إليه، والمرء لا يعلم بأيها يدخل الجنة.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٠٤) ونصه وَمَضْمُونُهُ: «أَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ مَالِكُ الدَّارِ وَسَاكِنِيهَا وَرَازِقُهُمْ، فَبِهَذَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ غَيْرُهُ».

❁ **الأوامر نوعان:**

- مما أمر الله به أمرَ إيجاب: كإقام الصلاة، كما قال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣]، فلا يجوز صرف الصلاة إلا لله، فإذا صلى لغير الله أشرك.

- مما أمر الله به أمر استحباب: كأمره ﷺ بالسواك، كما في قوله: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ**»[(١)]؛ فالسواك عبادة مندوبة، يتسوّك تعبداً لله ﷻ، فلا تصرف تعبداً لغير الله ﷻ.

• النهي نوعان:

- نهي تحريم: كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسرَاء: ٣٢]، فأنت تبتعد عن الزنا، خوفاً من الله وتعظيماً له، وطمعاً في ثوابه وتكون عابداً لله في هذا، بكف نفسك عن الزنا.

- نهي تنزيه: كالنهي عن الحديث بعد صلاة العشاء، فهذا نهي للكراهة، فإذا تركت الحديث بعد صلاة العشاء ممتثلاً لأمر النبي ﷺ فأنت تعبد الله بذلك.

- هذه أنواع العبادة الأوامر والنواهي. سواء أمر إيجاب أو أمر استحباب، والنهي نهي تحريم أو نهي تنزيه.

وتفعل الأوامر وتترك النواهي طاعةً لله ﷻ.

۞۞۞

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، بَابُ السِّوَاكِ يَوْمَ الجُمُعَةِ، رقم (٨٨٧)، ومسلم: كتاب الطهارة،باب السواك، رقم (٢٥٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الإِسْلامِ [١]، وَالإِيمَانِ [٢]، وَالإِحْسَانِ [٣]، وَمِنْهُ [٤]: الدُّعَاءُ [٥]، وَالخَوْفُ [٦]، وَالرَّجَاءُ [٧]، وَالتَّوَكُّلُ [٨]، وَالرَّغْبَةُ[٩]، وَالرَّهْبَةُ [١٠]، وَالخُشُوعُ [١١]، وَالْخَشْيَةُ [١٢]، وَالإِنَابَةُ [١٣]».

الشَّرْحُ

[١] الإسلام هو: الاستسلام لله تعالىٰ بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والتبرؤ من الشرك وأهله.

[٢] الإيمان هو: تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، وكل هذه الأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

[٣] الإحسان هو: أن تعبد الله علىٰ المراقبة، كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

[٤] يعني: من أنواع العبادات التي أمر الله بها.

[٥] مثل قولك: يا أرحم الراحمين.

[٦] وهو خوف العبادة، خوف السر.

- أما الخوف الطبيعي: كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق، فهذا لا يلام عليه العبد، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القَصَص: ١٨] لكن إذا كان هذا الخوف سبباً لترك واجب أو فعل محرم كان حراماً؛ لأن ما كان سبباً لترك

واجب أو فعل محرم فهو حرام، ودليل ذلك قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥] فالخوف منه ما يكون محموداً، وما يكون غير محمودٍ.

[٧] المراد بالرجاء: رجاء العبادة، كأن يرجو الميت أن يُدخِله الله الجنة وأن يُنجيه من النار، هذا هو رجاء العبادة. أما الرجاء العادي كأن يقول: «أرجوك أن تساعدني»، فليس مراد المؤلف رحمه الله.

[٨] التوكل هو: الاعتماد علىٰ الله، فهو ﷻ مسبب الأسباب.

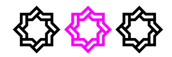
[٩] المراد: الرغبة إلىٰ الله، وإلىٰ ما عنده من الثواب.

[١٠] المراد: الخوف من الله ومن عذابه.

[١١] الخشوع هو: الطمأنينة، يقال: هذا محل خاشع، أي: مطمئن، ومنخفض عن غيره، وأما الخشوع في استعمالات كثيرة فيأتي بمعنى السكون.

[١٢] الخشية هي: خوف مع عِلم، فهي أدق من الخوف.

[١٣] الإنابة هي: الرجوع إلىٰ الله، وترك المعاصي.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالاسْتِعَانَةُ [١]، والاستعاذة [٢] وَالاسْتِغَاثَةُ [٣]، وَالذَّبْحُ[٤]، وَالنَّذْرُ [٥]، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتي أَمَرَ اللهُ بِهَا.

كُلُّهَا لله تَعَالَى [٦]».

الشَّرْحُ

[١] الاستعانة هي: طلب العون.

[٢] المراد بالاستعاذة: طلب الإعاذة ـ أي: الحماية ـ من مكروه سواء كان المستعاذ منه عدواً بشراً أو شيطاناً.

[٣] الاستغاثة هي: الدعاء من المكروب.

[٤] الذبح هو: إزهاق الروح بإراقة الدم علىٰ وجه مخصوص، **ويقع علىٰ وجوه:**

- **الأول**: أن يقع عبادة، بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه، فهذا لا يكون إلا لله، علىٰ الوجه الذي شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصرفه لغير الله شرك أكبر، وسيأتي دليله.

- **الثاني**: أن يقع إكراماً لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك، فهذا مأمور به إمَّا وجوباً أو استحباباً؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ**

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[(١)]. وقوله ﷺ لعبدالرحمن بن عوف: **«أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»**[(٢)].

- **الثالث**: أن يقع علىٰ وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به، ونحو ذلك فهذا من قسم المباح، فالأصل فيه الإباحة؛ لقوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [يس: ٧١-٧٢].

وقد يكون مطلوباً أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلة له.

[٥] النذر هو: إلزام الإنسان نفسه ما لم يلزم به بأصل الشرع، كأن يقول الإنسان: «لله علي إن شفى الله مريضي أن أصوم له ـ أي: لله ـ خمسة أيام متتاليات» فهذا نذر.

- هذه أربعةَ عشرَ نوعاً من العبادة، ذكرها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ سبيل التمثيل للعبادات لا الحصر.

[٦] أي: كل هذه العبادات تصرف له ﷻ وحده، فإذا صرف الدعاء أو الذبح أو النذر أو الاستعانة أو الاستغاثة لغير الله وقع في الشرك.

۞۞۞

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، بَابُ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذي جَارَهُ، رقم (٦٠١٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الحث علىٰ إكرام الجار والضيف، رقم (٤٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الصفرة للمتزوج، رقم (٥١٥٣)، ومسلم: كتاب النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم القرآن وخاتمًا من حديد، رقم (١٤٢٧).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«والدَّلِيلُ [١]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن: ١٨] فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئاً لِغَيْرِ الله؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ[٢].

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ [٣]۝١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الحدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»(١) [٤]».

الشَّرْح

[١] أي: الدليل علىٰ أن العبادة حق الله وأن من صرفها لغير الله وقع في الشرك والكفر.

[٢] أي: الشرك الأكبر، والكفر المخرج عن الملة، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ مُتَّفِقُونَ عَلَى مَا عَلِمُوهُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَعْبُدَ وَلَا يَدْعُوَ وَلَا يَسْتَغِيثَ وَلَا يَتَوَكَّلَ إلَّا عَلَى اللهِ، وَأَنَّ مَنْ عَبَدَ مَلَكًا مُقَرَّبًا أَوْ نَبِيًّا مُرْسَلًا أَوْ دَعَاهُ أَوْ اسْتَغَاثَ بِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ»(٢).

[٣] فحَكَمَ الله ﷻ عليه بالكفر، فمن دعا غير الله فهو كافر مشرك.

---

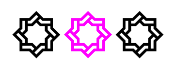
(١) أخرجه الترمذي: أبواب الدعوات، رقم (٣٣٧١) وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

(٢) مجموع الفتاوى: (٣/ ٢٧٢).

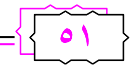
وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ ١٤﴾ [فَاطِر: ١٣-١٤] فسمى الله ﷻ الدعاء هنا شركاً.

[٤] ومخ الشيء لبُّه وخلاصته وما يقوم به، ومعناه: أن العبادة لا تقوم إلا بالدعاء، كما أن الإنسان لا يقوم إلا بالمخ؛ لدلالته علىٰ الإقبال علىٰ الله ﷻ والإعراض عما سواه.

وهذا الحديث: يدل علىٰ منزلة الدعاء من بين أنواع العبادة، وهو حديث ضعيف، لكن معناه صحيح، والصحيح حديث: «**الدُّعَاءَ هُوَ اَلْعِبَادَةُ**»(١).



(١) أخرجه أبو داود: أبواب فضائل القرآن، باب الدعاء، رقم (١٤٧٩)، والترمذي: أبواب تفسير القرآن، بَابُ: وَمِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ، رقم (٢٩٦٩) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، رقم (٣٨٢٨).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠] [١]».

الشَّرْحُ

[١] هذا هو الدليل علىٰ أن الدعاء عبادة من القرآن، حيث سمى الدعاء عبادة.

- والدعاء المأمور به في الآية هو: دعاء العبادة، ودعاء المسألة.

فإذا كان دعاءَ عبادة: فإن استجابته هي الإثابة من الله سبحانه وتعالى عليه.

وإذا كان دعاء مسألة: فاستجابته حصول مقصود الداعي والإثابة عليه أيضاً؛ لأن كل من دعا ولو كان دعاؤه بأمر دنيوي فإنه يثاب علىٰ دعائه، فلو قال: اللهم ارزقني مركباً هنيئاً، وزوجةً صالحة، وبيتاً واسعاً. فهذه من أمور الدنيا مما يتمتع به في الدينا.

فإذا سأل الله عز وجل فإن استجابة الله له تكون: بإثابته عليه، وهذا محقق لكل داعٍ.

وقد رُوي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»(١).

وأما حصول مطلوبه: فهذا قد يحصل وقد لا يحصل، بناءً علىٰ حكمة الله عز وجل في تحقيق مطلوب العبد أو ادخار ذلك له في الآخرة أو دفع شرٍ عنه نظير ما دعا أو مثلما دعا.

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الدعوات، رقم (٣٣٧٣).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«ودَلِيلُ الخوْفِ [١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ [٢] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥]».

الشَّرْح

[١] المراد ـ كما سبق ـ: خوف العبادة، كأن يخاف من صاحب القبر، يخاف منه أن يحرمه دخول الجنة، أو يخاف أن يُدخله النار، أو يخاف أن يسلّط عليه عدواً في سره لا شيءٌ ظاهر.

أما الخوف من العدو الذي أمامك ومعه السلاح، وكذلك من السباع، فهذا خوف طبيعي.

[٢] قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَخَافُونِ﴾: فَافْعَلُوا مَا آمُرُكُمْ بِهِ، وَاتْرُكُوا مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ، لِأَنِّي الْحَقِيقُ بِالْخَوْفِ مِنِّي، وَالْمُرَاقَبَةِ لِأَمْرِي وَنَهْيِي، لِكَوْنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِيَدِي[١].

وقد كان الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أشد الخلق خوفاً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعرَاف: ٥٩].

وقال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ [هُود: ٨٤].

(١) انظر: فتح القدير (١/ ٤٥٩).

وقال النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾ [الأنعام: ١٥-١٦].

وقد كان النبي ﷺ يصلي ولصدره أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء[(١)]. أي: كصوت الإناء إذا غلا فيه الماء.

- فكلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كَفَى بِخَشْيَةِ اللهِ عِلْمًا، وَكَفَى بِاغْتِرَارٍ بِاللهِ جَهْلًا»[(٢)]، ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد ربه، فأعرف الناس أخشاهم لله، ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه وحبه له، وكلما ازداد معرفةً ازداد حياءً وخوفاً وحباً، وعلىٰ قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية، كما قال النبي ﷺ: «**لأناَ أَعْلَمُهُمْ بالله وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**»[(٣)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الْخَوْفُ مِنْ اللَّهِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِهِ؛ فَالْعِلْمُ بِهِ يَسْتَلْزِمُ خَشْيَتَهُ وَخَشْيَتُهُ تَسْتَلْزِمُ طَاعَتَهُ»[(٤)].

- والخوف منه عز وجل من أسباب صلاح القلب، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فَمَا حُفِظَتْ حُدُودُ اللهِ وَمَحَارِمُهُ وَوَصَلَ الْوَاصِلُونَ إلَيْهِ بِمِثْلِ خَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَمَحَبَّتِهِ، فَمَتَى خَلَا الْقَلْبُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ فَسَدَ فَسَادًا لَا يُرْجَى صَلَاحُهُ أَبَدًا وَمَتَى ضَعُفَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ ضَعُفَ إيمَانُهُ بِحَسَبِهِ»[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود، أَبْوَابُ تَفْرِيعِ اسْتِفْتَاحِ الصَّلَاةِ، بَابُ الْبُكَاءِ فِي الصَّلَاةِ، رقم (٩٠٤)، والنسائي: كتاب السهو، بَابُ الْبُكَاءِ فِي الصَّلَاةِ، رقم (١٢١٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ١٨٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٢).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، بَابُ مَنْ لَمْ يُوَاجِهِ النَّاسَ بِالعِتَابِ، رقم (٦١٠١)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالىٰ وشدة خشيته، رقم (٢٣٥٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٤).

(٥) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢١).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ [١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] [٢]».

الشَّرْح

[١] الرجاء معناه: السعي إلىٰ الشيء مع ميل النفس إلىٰ حصوله، فالرجاء بهذا المعنى ـ إذا قصد الإنسان به التقرب إلىٰ الله ـ كان من مراضيه، فإذا كان من مراضيه ومحابه كان عبادة؛ لأن العبادة اسمٌ جامع لما يحبه الله ويرضاه، ومن ثَم لابد من تجريد عبادة الرجاء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

[٢] من صرف العبادة لغير الله أشرك، كأن يرجو الميت أن يُدخِله الجنة، ويرجوه أن لا يُدخله النار.

أما الرجاء العادي كأن أرجوك أن تساعدني، أو أن تقرضني، أرجوك أن تساعدني في إصلاح سيارتي فهذا جائز.

وَالدّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، والشاهد قوله: ﴿يَرْجُوا۟﴾.

۞ الفرق بين الرجاء والتمني:

الرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل، أما التمني فيكون مع الكسل.

قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧] ابْتِغَاءُ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ: طَلَبُ الْقُرْبِ مِنْهُ بِالْمحبة والعُبُودِيَّةِ بالطاعة وأنواع القربات[(١)].

فالواجب علىٰ العبد أن يحقق رجاءه فلا يعلقه إلا بالله ﷻ، لا يعلقه بقوته ولا بعمله ولا يعلقه بمخلوق. ومن المأثور عن علي رضي الله عنه أنه قال: «**لَا يَرْجُو عَبْدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافُ إِلَّا ذَنْبَهُ**»[(٢)].

۞ اقتران الخوف والرجاء:

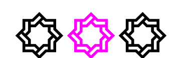
الخوف والرجاء يسيران بالمؤمن كجناحي الطائر، فإن الطائر له جناحان فإذا استقاما استقام طيرانه، وإذا سقط أحد الجناحين سقط وهو في عداد الموتى، فكذلك المؤمن يسير قلبه بين الخوف والرجاء، فمن سار بالخوف بلا رجاء هلك، لأن المؤمن إذا خاف ولم يرجُ صار خوفه يحمله علىٰ سوء الظن بالله، واليأس والقُنوط من رَوح الله، وكذلك الرجاء وحده؛ وإذا غَلّب جانب الرجاء صار يستصغر المعاصي،ولا يبالي ولا يخاف، لكن المؤمن يخاف لكن خوفه لا يؤدي إلىٰ القنوط ولا إلىٰ اليأس؛ لأنه يرجو، ويرجو... ولكن رجاء لا يؤدي به إلىٰ استصغار المعاصي.

- فلا بد من اقتران الخوف والرجاء في قلب المؤمن ؛ لئلا

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٣٦).

(٢) انظر: حلية الأولياء (١/ ٧٦).

يفضي به الرجاء إلىٰ الأمن من مكر الله، أويفضي به الخوف إلىٰ القنوط من رحمة الله واليأس من روحه؛ ولهذا قرنت صفات الرّحمة بصفات العقوبة في مواضع كثيرة من القرآن؛ لتورث المؤمن قوّة في الخوف والرّجاء، واعتدالاً بين وعد الله ووعيده، قال ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦﴾ [الرّعد: ٦].



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ودَلِيلُ التَّوَكُلِ [١] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ[٢] فَتَوَكَّلُوٓاْ [٣] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [٤]﴾ [المائدة: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ [٥]﴾ [الطلاق: ٣]».

الشَّرْحُ

[١] التوكل هو: الاعتماد علىٰ الله في حصول النتيجة بعد فعل الأسباب، فاعتماد قلبك علىٰ حصول النتيجة هذا خاص بالله، فتفعل الأسباب التي أمرك الله بها، من طلب الرزق، وأن يكون في يدك مهنة تكتسب منها، تفعل الأسباب ثم تتوكل علىٰ الله في حصول النتيجة؛ وحصول الثمرة والفائدة.

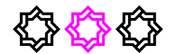
[٢] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لا علىٰ غيره، وهذا يفيد الحصر والقصر؛ لأن من طرق عند البلاغيين تقدم ما حقه التأخير، والأصل: توكلوا علىٰ الله.

[٣] ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ هذا أمر يدل علىٰ وجوب التوكل، أي: اعتمدوا علىٰ الله جل وعلا، وفوضوا أموركم إليه. فدلت الآية علىٰ وجوب التوكل، وأنه من العبادات.

[٤] ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم مؤمنين بالله جل وعلا فعليه توكلوا؛ فجعل التوكل علىٰ الله شرطاً في الإيمان، قال

ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْإِيمَانِ عِنْدَ انْتِفَاءِ التَّوَكُّلِ. فَمَنْ لَا تَوَكُّلَ لَهُ لَا إِيمَانَ لَهُ»(١).

[٥] ومعنى ﴿حَسْبُهُۥٓ﴾: كافيه؛ ومن كان الله كافيه فلا مطمع لأحدٍ فيه.



(١) مدارج السالكين (٢/١٢٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ [١]، وَالرَّهْبَةِ [٢]، وَالخُشُوعِ [٣]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا[٤] وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠] [٥]».

الشَّرْح

[١] الرغبة معناها: السؤال والتضرع والابتهال مع محبة الوصول إلىٰ الشيء المحبوب، فإذا كان يدعو وعنده قوة لحصول مطلوبه فهذه رغبة.

[٢] الرهبة هي الإمعان في الهرب من المكروه ـ كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[١]، فهي خوف مقرون بعمل. قال الراغب الأصفهاني: الرَّهْبة والرَّهبْ: مخافة مع تحرز واضطراب[٢].

[٣] الخشوع هو: التذلل والتطامن، وهو بمعنى الخضوع، إلا أن الخضوع يغلب أن يكون في البدن، والخشوع في القلب أو البصر أو الصوت. قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١-٢] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٨]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ [القلم: ٤٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

---

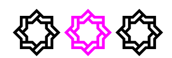
(١) مدارج السالكين (١/٥٠٨).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن (٣٦٦).

[٤] ﴿رَغَبًا﴾ يعني: رجاءً فيما عند الله. قال ابن القيم رحمه الله: «وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرَّغْبَةِ وَالرَّجَاءِ أَنَّ الرَّجَاءَ طَمَعٌ. وَالرَّغْبَةُ طَلَبٌ. فَهِيَ ثَمَرَةُ الرَّجَاءِ. فَإِنَّهُ إِذَا رَجَا الشَّيْءَ طَلَبَهُ. وَالرَّغْبَةُ مِنَ الرَّجَاءِ كَالْهَرَبِ مِنَ الْخَوْفِ»[1].

[٥] هذه الآية دلت علىٰ ثلاثة أنواع من العبادة كما تبين ذكره، فالرغَب والرهَب والخشوع خاص بالله، لا يرغب إنسانٌ إلا لله، ولا يرهب إلا منه، والمراد بالرغَب والرهب هنا رغب ورهب العبادة.

- والرغبة والرهبة لا تقومان إلا علىٰ ساق الصبر، فرهبة العبد تحمله علىٰ الصبر، ورغبته تقوده إلىٰ الشكر، وعبادتا الرغبة والرهبة تنحسران عن العبد بقدر ذنوبه، وتزيدان بزيادة إيمانه، ويناله التوفيق ـ بإذن الله ـ بقدر تلك العبادة، قال ابن القيم رحمه الله: «إذا أراد بعبده خيراً، وفَّقه لاستفراغ وسعه، وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه، فإنهما مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق»[2].



(١) مدارج السالكين (٢/ ٥٥).

(٢) شفاء العليل (١٠٧).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الخَشْيَةِ [١]: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ [٢] وَٱخْشَوْنِي﴾ [البَقَرَة: ١٥٠] [٣]».

الشَّرْح

[١] الخشية بمعنى الخوف، لكن الخشية أخص من الخوف؛ لأن الخشية مقرونة بمعرفة الله تعالىٰ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢٨] فالخشية خوف مقرون بمعرفة الله، ولهذا قال النبي ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ»[١].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخوف والخشية والخشوع والإخبات والوجل معانيها متقاربة، فالخوف يمنع العبد عن محارم الله، وتشاركه الخشية في ذلك، وتزيد أن خوفه مقرون بمعرفة الله. وأما الخشوع والإخبات والوجل فإنها تنشأ عن الخوف والخشية لله، فيخضع العبد لله ويخبت إلىٰ ربه منيباً إليه بقلبه ويحدث له الوجل. وأما الخشوع فهو حضور القلب وقت تلبسه بطاعة الله وسكون ظاهره وباطنه فهذا خشوع خاص. وأما الخشوع الدائم الذي هو وصف خواص المؤمنين فينشأ من كمال معرفة العبد بربه ومراقبته فيستولي ذلك علىٰ القلب كما تستولي المحبة»[٢].

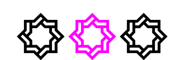
---

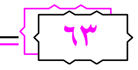
(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، رقم (٥٠٦٣)، ومسلم: كتاب الصيام، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْقُبْلَةَ فِي الصَّوْمِ لَيْسَتْ مُحَرَّمَةً عَلَى مَنْ لَمْ تُحَرِّكْ شَهْوَتَهُ، رقم (١١٠٨).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٣٦٢).

[٢] أي: لا تخشَوا الناسَ خشية العبادة.

[٣] الشاهد في الآية: أن الإنسان إذا خاف غير الله ـ خوف تعبُّدٍ وتألّه، مستقر بالقلب، يحمل علىٰ الطاعة والبعد عن المعصية، فإن هذا الخوف من أنواع الشرك لأن الله ﷻ جعله من مقتضيات الإيمان، فمن صرف هذا لغير الله تعالىٰ فليس بمؤمن.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ [١]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ الآية [الزُّمَر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ[٢] وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [٣]﴾ [الفَاتِحَة: ٥] [٤].

وَفِي الحْدِيثِ: «... وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله [٥]»[١].

الشَّرْح

[١] الإنابة هي: الرجوع إلىٰ الله بالتوبة والإخلاص، فالإنابة خاصةٌ بالله، فلا يُنيب الإنسان إلىٰ غير الله من المخلوقين، ولا يتوب إليه ويطلب منه أن يغفر ذنوبه، كما يفعل النصارى؛ فالنصارى يتوبون إلىٰ قسيس فيغفر بزعمهم ويعطيهم صكَّ الغفران إلىٰ الجنة، وكذلك بعض الشيعة يرجعون إلىٰ شيوخهم فيغفرون بزعمهم لهم ذنوبهم، وهذا شرك، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥].

[٢] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ قدّم الضمير علىٰ الفعل لإفادة الاختصاص، والمعنى: نعبدك يا الله، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك ولا نستعين بغيرك، هو معنى: لا إله إلا الله، وهذا مفهوم من تقديم الظرف، لأنه يراد به الاختصاص، فلو قلت: «نعبدك» أو قلت: «نستعينك»، فقدتَّ

(١) أخرجه الترمذي: أبواب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم (٢٥١٦)، وقال حديث حسن صحيح.

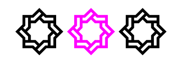
ميزة الاختصاص، ولكن لمّا قدّم الضمير ﴿إِيَّاكَ﴾ صار المعنى: إياك نعبد ولا نعبد غيرك، وإياك نستعين ولا نستعين بغيرك.

[٣] فعبادة الاستعانة حقّ الله ﷻ، وكما أن من عبد غير الله وقع في الشرك، كذلك الاستعانة، من استعان بغير الله فقد أشرك.

[٤] وتقديم العبادة علىٰ الاستعانة من باب تقديم العام علىٰ الخاص. واهتماماً بتقديم حقه تعالىٰ علىٰ حق عبده ... وذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها لاحتياج العبد في جميع عباداته إلىٰ الاستعانة بالله تعالىٰ. فإنه إن لم يُعِنْه الله، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي، قاله الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله(١).

[٥] المراد بالاستعانة هنا: استعانة العبادة أيضاً.

أما الاستعانة في الأمور العادية فلا بأس، كأن تقول يافلان أعني في إصلاح سيارتي، أعني في إصلاح مزرعتي، أعنِّي في قضاء دَيني، فلا بأس ما دام المستعان به حيّاً حاضراً قادراً علىٰ الإعانة، وقد سبق تفصيل الكلام علىٰ هذه المسألة.



(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٢).

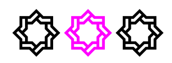
📚 **قَالَ المُؤَلِّفُ** رَحِمَهُ اللهُ:

«**وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾** [الفَلَق: ١].

وَقَوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [النَّاس: ١] **[١]**».

الشَّرْح

[١] الاستعاذة بحي حاضر فيما يقدر عليه لا بأس له، بأن تقول: يا فلان أعذني من شر أولادك، أعذني من شر لسان زوجتك، إذا كانت سليطة اللسان، لأنه حي حاضر قادر، ولكن من يستعيذ بميّت أو بغائب أو بحي حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك؛ قال في فتح المجيد: «وقد أجمع العلماء، علىٰ أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله»[١]، وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وقد نص الأئمة كأحمد وغيره علىٰ أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق»[٢].



(١) فتح المجيد (١٦٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/٢٢٧).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ [١]: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] [٢]».

الشَّرْحُ

[١] الاستغاثة هي: دعاء من المكروب ـ الذي وقع في كرب ـ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستغاثة لا تكون إلا بعد الذعر»(١). وهي عبادة يُتعبد بها لله، فيما لا يقدر عليه إلا الله.

أما الاستغاثة بحيٍّ حاضر قادر فلا بأس به، كأن يستغيث الغريق بسبّاح، فهذا لا بأس به، لكن يستغيث بميّت أو بحي غائب، أو بحيٍّ حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك.

قال صاحب تيسير العزيز الحميد: «المخلوق يطلب منه مايقدر عليه ويستعاذ به فيه بخلاف ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستعاذ فيه إلا بالله»(٢).

الفرق بين الاستغاثة والاستعاذة:

الاستعاذة تطلب منه أن يعصمك وأن يمنعك وأن يحصنك، والاستغاثة تطلب منه أن يزيل ما فيك من شدة، وهذا لا يكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ القادر علىٰ كل شيء.

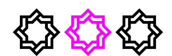
---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٦٠).

(٢) تيسير العزيز الحميد (١٧٢).

- والاستغاثة كالاستعاذة تتضمن كمال الافتقار إلىٰ الله ﷻ واعتقاد كفايته.

[٢] هذه الآية نزلت في غزوة بدر الكبرى. وكان المشركون أكثر من المسلمين ثلاث مرات، فالمسلمون بقيادة النبي ﷺ توجهوا إلىٰ الله بأن يمدهم بالنصر وأن يخلصهم من هذا الموقف الذي هم فيه. وقد ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلىٰ أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلىٰ المشركين فإذا هم ألف وزيادة ـ وفي روايات أخرى: أنهم بين الألف والتسعمائة ـ فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**»، قال: فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: «يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ»(١). فأنزل الله الآية.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ، رقم (١٧٦٣).



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٦١ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١] ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ [٢] اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(١).

وَدَلِيلُ النَّذْرِ [٣]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ [٤] وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧]».

الشَّرْحُ

[١] هذا هو الشاهد ﴿لِلَّهِ﴾، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢] أي: اذبح.

[٢] اللعن هو: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وإنما لعنه صلى الله عليه وسلم لأنه مشرك.

[٣] النذر هو: أن ينذر عبادة لم يوجبها الله فيوجبها علىٰ نفسه، وقد يكون مطلقاً وقد يكون مقيّداً.

فالمطلق: كأن ينذر أن يصلي عشرين ركعة، فيجب عليه أن يوفي بنذره، أو ينذر بأن يتصدّق بألفٍ علىٰ الفقراء؛ فيجب عليه أن

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الأضاحي، بَابُ تَحْرِيمِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى وَلَعْنِ فَاعِلِهِ، رقم (١٩٧٨).

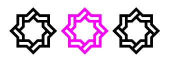
يفي بنذره ويتصدق إذا كان نذر طاعة، أما إذا كان نذر معصية فلا يجوز له أن يفي بنذره.

وأحياناً يكون النذر مقيّداً، كأن يقول: «إن شفى الله مريضي أو نجح ولدي في الامتحان لأتصدّقن بألف» فإذا نجح ولده أو شفي مريضه فيجب عليه أن يتصدق، أو قال: «إن نجح ولدي أو شفي مريضي لأصليّن لله عشرين ركعة، أو لأذبحن خروفاً وأتصدّق به علىٰ الفقراء». فيجب عليه أن يتصدق.

هذا النذر عبادة، وإذا صرف لغير الله وقع في الشرك، كأن ينذر أن يذبح لصاحب القبر، أو ينذر بأن يصلي لشخص.

[٤] النذر في الأصل مكروه، لأن الإنسان إذا نذر فإنه يُوجب علىٰ نفسه عبادة لم يُوجبها الله عليه، وقد لا يستطيعها، ولذلك نَهَى ﷺ عَنْ اَلنَّذْرِ وَقَالَ: «**لَا تَنْذُرُوا فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يُغْنِى مِنَ الْقَدَرِ شَيْئاً، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**»(١).

لكن إذا نذر وكان عنده نذر عبادة ثم وفى به فإنه يُمدح عليه، لأن الله تعالىٰ مدح الأبرار فقال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾ [الإنسَان: ٧].



(١) أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، بَابُ الوَفَاءِ بِالنَّذْرِ، رقم (٦٦٩٣)، ومسلم واللفظ له: كتاب النذر: بَابُ النَّهْيِ عَنِ النَّذْرِ وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، رقم (١٦٤٠).



الأَصْلُ الثَّانِي: معرفة الإسلام

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«الْأَصْلُ الثَّانِي [١] مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ: وَهُوَ: الاستِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ [٢]، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ [٣]، وَالإِيمَانُ [٤]، وَالإِحْسَانُ [٥]. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ [٦] خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إِلهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ [٧]، وَإِقَامُ الصَّلاةِ [٨]، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ».

الشَّرْحُ

[١] بعد معرفة العبد لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يأتي الأصل الثاني وهو معرفة الإسلام، فيجب عليك أن تعرف دين الإسلام بالأدلة، وقد عرف المؤلف رَحِمَهُ اللهُ الإسلام بأنه: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

[٢] استسلم يعني: انقاد وذلّ وخضع وأطاع، قالوا: «استسلم الجمل لصاحبه»؛ يعني: انقاد، وقاده بزمامه، والمستسلم هو المنقاد[١]. وأما الذي لا ينقاد فهو الذي يسمى مستكبراً، فالمسلم مستسلم لله، منقاد لشرعه ودينه، والكافر مستنكفٌ، استكبر وأبى أن

(١) انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٩٣).

يعود إلىٰ الله، فصار مستكبراً.

[٣] المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام، وهي: الدنيا.

[٤] المرتبة الثانية: مرتبة الإيمان، وهي أعلىٰ منها.

[٥] المرتبة الثالثة: مرتبة الإحسان، وهي أعلىٰ منهما.

ثم شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان أركان كل مرتبة من الثلاث.

[٦] أركان الإسلام ـ كما ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ خمسة، وهي الأركان التي يقوم عليها ويستقيم بها، وهناك شرائع أخرى غير هذه خمس مثل: بر الوالدين، وصلة الأرحام، وأداء الأمانات، وغير ذلك من الواجبات، وكذلك المحرّمات يتركها المسلم، غير هذه الخمس، لكن هذه الخمس هي العُمد التي لا يقوم إلا عليها، ولا يستقيم إلا بها.

[٧] الركن الأول: الشهادتان: «شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً عبده ورسوله»، وهذا الركن هو أصل الدين وأساس الملة، وأعظم الأركان، وهو مفتاح دار السلام، فبالشهادتين يدخل المسلم في الإسلام، وعليهما يموت.

[٨] الركن الثاني: «إقام الصلاة»، ولم يقل: فعل الصلاة؛ لأن إقامتها هي أن تعطيها حقها، وليس كل من صلى يكون مقيماً للصلاة، بل يُصلي بعض الناس وهو لا يقيمها، فالمصلون كثير والمقيمون للصلاة قليل؛ وكما أن الركب من الحجاج كثير يقارب ثلاثة ملايين، لكن من يؤدي الحج علىٰ الوجه الصحيح قليل، فأنت ترى المساجد تمتلئ من المصلين، ولكن كم منهم من يقيم الصلاة؟! وذلك بأن يصلي علىٰ الإخلاص، وعلىٰ رغبة ورهبة، ويؤديها بشروطها، وحدودها وقيامها، وركوعها وحضور القلب فيها، ومتابعة الإمام فيها، والطمأنينة فيها، وأدائها في وقتها.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ[١] قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٨]. وَمَعْنَاهَا لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنْ الإِثْبَاتِ (لا [٢] إله [٣]) نَافِياً جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله، (إلا اللهُ)[٤] مُثْبِتاً الْعِبَادَةَ لله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ [٥] وَتَفْسِيرُهاَ: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ[٦] ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى[٧] فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزّخرُف: ٢٦-٢٨].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ[٨] أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا[٩] وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ[١٠] ﴿٦٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ٦٤]».

الشَّرْحُ

[١] قرنَ الله شهادةَ العلماء بشهادة الملائكة علىٰ أعظم وأجلّ مشهود به وهو: الشهادة لله بالوحدانية.

[٢] نافية للجنس، وهي من أخوات (إن) تنصب الاسم.

هذا هو الكفر بالطاغوت

[٣] «إله»: اسم لا النافية للجنس، ومعنى الإله: المعبود، والخبر محذوف وتقديره: حقٌّ، أي: لا إله حق. وعبارة «لا إله»: هذا هو الكفر بالطاغوت، البراءة من كل معبود سواه، ومن كل عبادة لمن عداه.

[٤] «إلا»: أداة استثناء، وعبارة «إلا الله»: هذا الإيمان بالله.

[٥] «لا إله إلا الله»: كلمة التوحيد، وهي كفرٌ وإيمانٌ، كفرٌ بالطاغوت في قولك: «لا إله»، وإيمانٌ بالله، في قولك: «إلا الله»، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

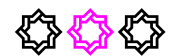
[٦] هو معنى «لا إله»، وهو: نفيٌ للشرك.

[٧] هذا الإيمان بالله، إثبات العبادة لله بعد نفيها عما سواه، فنفى وأثبت عليه السلام.

[٨] أي: عدل بيننا وبينكم، وما هي هذه الكلمة؟ إنها كلمة التوحيد، التي بينها فيما بعد.

[٩] هذا معنى «لا إله إلا الله» نفي وإثبات.

[١٠] فإن قبلوا فالحمد لله، وإذ تولوا فكما قال الله: ﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ٦٤].





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ [١] حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ [٢] ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله: طَاعَتُهُ فِيما أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيما أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ الله إِلا بِمَا شَرَعَ [٣].

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ [٤] وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ [٥] عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣].

وَدَلِيلُ الحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ [٦] ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧]».

الشَّرْح

[١] يعني: يشّق عليه ﷺ ما يشّق عليكم.

[٢] أي: حريص علىٰ هدايتكم، ويسعى لكم في النفع بالدنيا والآخرة فهو بالمؤمنين رءوف رحيم.

[٣] فسر المؤلف معناها بأنها: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

أما الذي يَدّعي أنه يشهد أن محمداً رسول الله، وهو لا يصدق أخباره، ولا يُطيع أوامره، ولا يجتنب نواهيه فهذا كاذب، ولا ينفعه قوله.

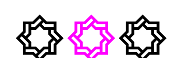
- وهو ﷺ خاتم الأنبياء والدليل قوله ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

[٤] هذا تفسير التوحيد، العبادة مع الإخلاص؛ أن يخلصوا العبادة لله، فيكون العبد لله حنيفاً، مائلاً عن الشرك إلىٰ التوحيد.

[٥] ومعنى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ فُرِض عليكم، فهذا الدليل علىٰ فرضية الصيام.

[٦] قوله ﴿وَلِلَّهِ﴾ يفيد الوجوب، فمعناه: أوجب الله علىٰ الناس حج البيت.

وهذه أركان الإسلام الخمس بأدلتها.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ [١]:

وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً(١) [٢]».

الشَّرْحُ

[١] هذه هي المرتبة الثانية من مراتب الدين بعد مرتبة الإسلام، والإيمان هو: تصديقٌ وإقرارٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بالقلوب، وبالجوارح، فهو يشمل أربعة أشياء:

١- قول بالقلب، وهذا الإقرار والاعتقاد من الإيمان، وهو قول القلب.

٢- قول باللسان، وهو التلفظ به.

٣- عمل القلوب، من الخشية والخوف، والرغبة، والرهبة، والمحبة، والرجاء.

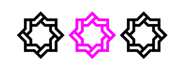
٤- عمل الجوارح، مثل الصلاة والصيام، والزكاة والحج.

إذاً الإيمان يشمل اعتقاد القلب، ويشمل الإقرار باللسان، ويشمل أعمال القلوب، وأعمال الجوارح، كلٌّ من الإيمان.

والإيمانُ ـ كما بينه ﷺ في الحديث ـ هو بضع وستون شعبة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، بَابُ أُمُورِ الإِيمَانِ، رقم (٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، رقم (٣٥).

[٢] **البضع**: من ثلاثة إلىٰ تسعة، يعني: من ثلاث وسبعين شعبة إلىٰ تسع وسبعين؛ وهذا العدد مستفاد من حديث أبي هريرة ﵁ الذي رواه البخاري وقال ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة**» ورواية مسلم: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة**».





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمانِ [١]، وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: كما في الحديث: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١) [٢].

وَالدَلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧].

ودليل القدر قَوْلُهُ تعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القَمَر: ٤٩]».

الشَّرْحُ

[١] بيّن ﷺ الأعلىٰ والأدنى من شعب الإيمان، فهو شعبٌ متفاوتة؛ بعضها يقرب من بعض، فمثلاً الصلاة شعبة، والزكاة شعبة، والصوم شعبة، والحج شعبة، وبر الوالدين شعبة، وصلة الأرحام شعبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعبة.

والحياء شعبة من الإيمان، أي: شعبةٌ قلبية من أعمال القلوب، فالحياء خُلقٌ داخليٌّ، يبعث صاحبه علىٰ فعل ما يزينه ويجمّله، ويحجزه عن فعل ما يشينه.

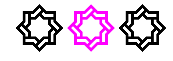
(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ، رقم (٨).

[٢] وهذا البيان لأركان الإيمان مأخوذ من حديث جبريل عليه السلام، لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، وهي ستة أركان.

الفرق بين أركان الإسلام وأركان الإيمان:

- أركان الإسلام: الشهادتان، والصلاة والزكاة، والصوم، والحج؛ هذه هي أركان الإسلام، وهي أركانٌ ظاهرة.

- أما أركان الإيمان فأعمالٌ باطنة؛ لا يطلع عليها إلا الله، ومن أتى بأركان الإيمان الباطنة فهو مؤمن؛ ومن أتى بأركان الإسلام الظاهرة ولم يأتِ بأركان الإيمان الباطنة فهو منافق، وفي الدرك الأسفل من النار.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ [١]:

أركانه: وله رُكْنٌ وَاحِدٌ؛ كما في الحديث: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(١) [٢].

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[٣] [النحل: ١٢٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]».

الشَّرْحُ

[١] هذه هي المرتبة الثالثة من مراتب الدين: الإحسان، وله ركنٌ واحدٌ، بينما الإسلام له خمسة أركان، والإيمان له ستة أركان.

[٢] وهذه هي المراقبة، تعبد الله علىٰ المراقبة، وهذا هو كمال الإيمان.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان: بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلَامِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٩).

❁ **وهذا الركن له مرتبتان ـ المرتبة الأولى أكبر من الثانية ـ:**

- المرتبة الأولى: أن تعبد الله كأنك ترى الله أمامك، فإن ضعفت عن هذه المرتبة فتنتقل إلىٰ الثانية.

- المرتبة الثانية: إن لم تكن تراه فإنه يراك، فتعبد الله علىٰ أنه يراك.

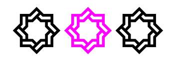
فالإنسان الذي يعبد الله علىٰ المشاهدة، هل يمكن أن يرائي في عمله؟!

بالطبع لا يمكن أن يُرائي، فمن يعبدِ الله علىٰ المشاهدة، تجده مخلصاً لله، ولا يلتفت قلبه إلىٰ الناس.

[٣] هذه المعية معية نصر وتأييد، وتوفيق وتسديد؛ **والمعية نوعان:**

- الأولى: المعية العامة: للمؤمن والكافر، فالله مع المؤمن والكافر باطلاعه وإحاطته ونفوذ قدرته ومشيئته: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

- الثانية: المعية خاصة: بالمؤمنين والأنبياء، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، فهو مع المتقين ومع المحسنين بنصره وتأييده، وتوفيقه وتسديده وهو فوق العرش، قال الله تعالىٰ لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦] وقال عن نبيه ﷺ لما كان في غار حراء، مع أبي بكر الصديق: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ المُشْهُورُ [١]: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ [٢] فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ [٣]، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»».

الشَّرْحُ

[١] هذا الحديث الطويل ـ وهو حديث جبرائيل المشهور ـ رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه مطولاً، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، ورواه البخاري مختصراً عن أبي هريرة رضي الله عنه.

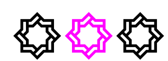
وفي هذا الحديث بيانُ مراتب الإسلام الثلاثة: مرتبة الإسلام، ومرتبة الإيمان، ومرتبة الإحسان. وقد سبق ذكر المؤلف لأدلتها من القرآن وذكر أدلتها من السنة.

وهذا الحديث حديث عظيم، تلقّاه العلماء بالقبول وشرحوه، ولو شُرح مفصلاً، لأتى شرحه في مجلداتٍ ضخامٍ، لما فيه من العلم الغزير.

[٢] أي: تعجّبنا كيف جاءَ رجلٌ غريبٌ مايعرفه منّا أحدٌ، ورغم ذلك فهو شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، بينما المسافر

عندهم في ذلك الزمن ـ حيث المواصلات صعبة كالإبل ونحوها ـ يأتي رثَّ الثياب، منتفش الشعر، وثيابه متسخة ـ فليست كأسفارنا الآن علىٰ الطائرات والسفن والقطارات ـ ولكن هذا رجلٌ مسافر غريب،وليس من أهل البلد، ولا عليه أثر السفر، ـ وهذا الرجل هو جبريل عليه السلام؛ جاء في صورة رجل ـ لكن الصحابة كانوا لا يعرفونه في ذلك الوقت.

[٣] جلس إلىٰ النبي ﷺ جلسة متأدب، فأسند ركبتيه إلىٰ ركبة النبي ﷺ، وكفاه علىٰ فخذيه يسأل، وجاء في بعض الألفاظ عن النبي ﷺ قال: «**سَلُونِي، فَهَابُوهُ**»[١] فأرسل الله جبريل يسأله، حتى يستفيد الصحابة.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، بَابُ الْإِسْلَامِ مَا هُوَ وَبَيَانُ خِصَالِهِ، رقم (١٠).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ [١]. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ[٢]. قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»[٣]. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا[٤]. قَالَ:[٥] «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا[٦]، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ [٧] الْعُرَاةَ [٨] الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ [٩] يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ [١٠]»[(١)].

قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْ مَلِيًّا [١١]، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرُي مَنِ السَّائِلِ؟» قُلْت: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم».

الشَّرْحُ

[١] لما حكم علىٰ كلام النبي ﷺ بالصدق، وكأنه يُصحح له، تعجب الصحابة رضي الله عنهم، لأنَّ السائل عادة لا يَعِرف، وهذا يسأل وهو يعرف الإجابة، ولهذا يُصدِّقه.

[٢] أي: متى تأتي الساعة.

[٣] أي: علمي وعلمك واحد، ولست بأعلم منك، كما أنك

---

(١) سبق تخريجه.

لا تعلم فأنا لا أعلم، ولا يعلمها إلا الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ﴾ [الأعراف: ١٨٧] والساعة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

[٤] أي: أخبرني عن العلامات التي تدل علىٰ قربها.

[٥] ذكر النبي ﷺ علامتين فقط من علامات اقتراب الساعة، وقد صح عنه ﷺ في غير هذا الحديث كثير من العلامات.

[٦] الأمة: العبدة الرقيقة، تلد سيدتها، كيف ذلك؟ قال العلماء: معنى ذلك أن الملوك يتَسرَّون الإماء، يعني تكثر السُراري فيتسرّاها الملوك، فتلد هذه الأمةُ سيدتها، لأنها بنت الملك، فتكون سيدةً علىٰ أمِّها، أو علىٰ غيرها، فكان أن ولدت الأمةُ الرقيقةُ سيدتها، وفي بعض الروايات «**تَلِدَ الأَمَةُ ربها**»[1]، يعني: تكون الأمة تلد ابن الملك، ويكون ملِكًا مثل أبيه، فيكون سيداً علىٰ أمّه وعلىٰ غيره وهذا في آخر الزمان.

[٧] يعني: أهل البوادي، فهم لا يلبسون النعال في الغالب.

[٨] أي: ثيابهم مشققة، ليسوا مثل أهل المدن.

[٩] يعني: يرعون الغنم، يتحضرون ويتطاولون في البنيان، بعد أن كانوا لا نعال عليهم ولا ثياب، ويرعون الشّياه.

[١٠] أي: سيسكن هؤلاء الحفاة العراة الرعاة المذكورون فيما سبق، المدن، ويبنون العمارات والبنايات، ويتطاولون في البنيان، وهذا من أشراط الساعة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، رقم (٥٠).

﴿ وهناك أشراط كثيرة، فمنها:

- إماتة الصلاة[(١)].
- عقوق الوالدين وقطيعة الرحم[(٢)].
- ظهور المعازف والملهيات[(٣)].

وغيرها الكثير مما لا حصر لها، وهذه أشراط الساعة الصغرى، وهي:

﴿ وهناك أشراط الساعة الكبرى، تعقب الأشراط الصغرى:

١- خروج المهدي[(٤)]، وهو رجل من سلالة النبي ﷺ، اسمه كاسم النبي ﷺ محمد بن عبدالله المهدي.

٢- ثم يخرج في زمنه الدجال، رجلٌ يدعي الصلاح أولاً ثم يدعي النبوة ثم يدعي الربوبية، وهو أعور العين اليمنى.

٣- ثم ينزل عيسى بن مريم ثم يقتله.

---

(١) كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟ أَوْ يُمِيتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا؟**» أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ كَرَاهِيَةِ تَأْخِيرِ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا الْمُخْتَارِ، وَمَا يَفْعَلُهُ الْمَأْمُومُ إِذَا أَخَّرَهَا الْإِمَامِ، رقم (٦٤٨).

(٢) كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ، وَجَفَا أَبَاهُ**»، أخرجه الترمذي: أبواب الفتن، بَابُ مَا جَاءَ فِي عَلَامَةِ حُلُولِ المَسْخِ وَالخَسْفِ، رقم (٢٢١٠)، وقال حديث غريب.

(٣) كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ**» أخرجه البخاري: كتاب الأشربة: بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ يَسْتَحِلُّ الخَمْرَ وَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، رقم (٥٥٩٠).

(٤) كما جاء في الحديث عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ**» - قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ: «**لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أو مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**» أخرجه أبو داود: كتاب الفتن والملاحم، كتاب المهدي، رقم (٤٢٨٢).

٤- ثم يخرج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى عليه السلام، فهذه الأربعة متوالية[(١)].

٥- ثم تتوالى أشراط الساعة، ومنها الدخان الذي يملأ ما بين السماء والأرض، يصيب المؤمن كهيئة الزكام، والكافر يصيبه منه ألمٌ شديد[(٢)].

٦- ومنها: نزع القرآن من المصاحف ومن الصدور إذا ترك المسلمون العمل به[(٣)].

٧- ومنها: هدم الكعبة في آخر الزمان[(٤)].

---

(١) كما جاء في الحديث عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ـ فَذَكَرَ ـ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**» أخرجه مسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ،بَابٌ فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ، رقم (٢٩٠١).

(٢) كما جاء عند البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب سورة الروم، رقم (٤٧٧٤): «**يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ المُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ، يَأْخُذُ المُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ**».

(٣) كما جاء في الحديث أن قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا**» أخرجه ابن ماجه: كتاب الفتن، بَابُ ذَهَابِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ، رقم (٤٠٤٩)، والحاكم: كتاب الفتن والملاحم، رقم (٨٤٦٠)، وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

(٤) كما جاء في الحديث أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يُبَايَعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ**» أخرجه أحمد: رقم (٧٩١٠)، والحاكم: كتاب الفتن والملاحم، رقم (٨٣٩٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

٨- ومنها: الدابة التي تَسِمُ الناس في وجوههم، فالمؤمن تَسِمُ له سمةً بيضاء، والكافر تسم له سمة سوداء تسود وجهه[(١)].

٩- ومن آخرها: طلوع الشمس من مغربها[(٢)].

١٠- وآخر أشراط الساعة العشر: «نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ، إلىٰ أرض الشام، تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا»[(٣)] «ثُمَّ يَبْعَثُ الله رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[(٤)].

- ولا يُخلى من العالم إلا إذا خلا هذا التوحيد والإيمان.

[١١] وفي لفظ أنه ﷺ قال: «ردوه» فذهبوا فلم يجدوا أحداً، فقال ﷺ: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟**». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم**».

---

(١) كما جاء في الحديث الذي أخرجه الحاكم: كتاب الفتن والملاحم، رقم (٨٤٩٠) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**فَتَخْرُجُ عَلَيْهِمْ تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِهَا التُّرَابَ، فَبَدَتْ بِهِمْ فَجَلَتْ عَنْ وُجُوهِهِمْ حَتَّى تَرَكَتْهَا كَأَنَّهَا الْكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّةُ، ثُمَّ وَلَّتْ فِي الْأَرْضِ لَا يُدْرِكُهَا طَالِبٌ وَلَا يُعْجِزُهَا هَارِبٌ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَعَوَّذُ مِنْهَا بِالصَّلَاةِ فَتَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِهِ فَتَقُولُ: أَيْ فُلَانُ الْآنَ تُصَلِّي؟ فَيَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَهُوَ أَبْيَنُ حَدِيثٍ فِي ذِكْرِ دَابَّةِ الْأَرْضِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

(٢) كما جاء في الحديث: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ**: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]» أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَابُ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾، رقم (٤٦٣٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم (١٥٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه: كتاب الفتن، بَابُ الْآيَاتِ، رقم (٤٠٥٥).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ**»، رقم (١٩٢٤).

الأصل الثالث: معرفة الرسول ﷺ [١]

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَهُوَ مُحَمَّدُ [٢] بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ ـ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ ـ» [٣].

الشَّرْحُ

[١] هذا هو الأصل الثالث من الأصول الثلاثة التي يجب علىٰ كل مسلم معرفتها، والعمل بها، والدعوة إليها والصبر علىٰ الأذى الذي يناله فيها. والإنسان يُسأل في القبر عن معرفة نبيِّنا محمد ﷺ.

[٢] وللرسول ﷺأسماء كثيرة منها: كما جاء عنه ﷺ، أنه قَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي، الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ**»[١].

[٣] هذا نسبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد ذكر ابن الصابوني[٢] مؤرخ النسب عن نسبه ـ عليه الصلاة والسلام ـ،

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، بَابُ مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم (٣٥٣٢)، ومسلم: كتاب الفضائل، بَابٌ فِي أَسْمَائِهِ ﷺ، رقم (٢٣٥٤).

(٢) محمد بن علي بن محمود، أبو حامد، جمال الدين المحمودي، ابن الصابوني: من حفاظ الحديث، العارفين برجاله. شيخ الإمام الذهبي، وهومن أهل دمشق،له كتاب (تكملة إكمال الإكمال في الأنساب)، المتوفى في (٦٨٠هـ). =

وذكره إلىٰ معد إلىٰ عدنان، وهذا متفق عليه، وهناك أجداد مُختلفٌ فيها، خمسة أو ستة أجداد وهم مابين عدنان وإسماعيل مع اتفاقهم أنهم من ذرية إسماعيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ بن إبراهيم الخليل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، فنسبه الشريف معروف، وقريش قبيلة معروفة، وهو نبي هاشمي مطلبي وهاشمُ من قريش، وقريش هي من أشرف القبائل، من ذرية إسماعيل ﷺ، لأن إسماعيل الأب الثاني، والأب الأول إبراهيم ﷺ، وقبلهما نوحٌ ﷺ، وقبلهم آدم ﷺ وآدم هو أبو البشر، ثم نوح الأب الثاني، حمل معه في السفينة من آمن وهو عددٌ قليل، ثم نزلوا، ولما نزلوا انقرضوا، فبقي أولاد نوح، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ [الصَّافات: ٧٧]؛ سام ويافث وحام، ثم بعد ذلك إبراهيم، كل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم فهو علىٰ نبي من ذريته، فرزق الله إبراهيم ابنين، الابن الأول إسماعيل، وأمه هاجر؛ التي أخدمها ملك مصر لسارة في ذلك الزمان، فأنجبت إسماعيل فسراها إبراهيم أعطته إياها سارة زوجته. لما وهبها ملك مصر لسارة. فولدت إسماعيل ومن ذرية إسماعيل نبينا محمد ﷺ، وكانت زوجه سارةُ عقيماً ثم رزقها الله إسحاق، بعد إسماعيل بمدة قالوا بعد اثني عشر عاماً، وكان من سلالة إسحاق يعقوب، وهو إسرائيل، وجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وآخرهم عيسى ﷺ، وأما إسماعيل ﷺ فمن ذريته نبينا محمد ﷺ.

۞۞۞

= انظر ترجمته في: بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم (٣/١٠٢٨)، الوافي بالوفيات، الصفدي (٤/ ١٣٤) تاريخ الإسلام، الذهبي (١٥/ ٤٠١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ في النبوة [١]. نُبِّئَ بـ﴿ٱقْرَأْ﴾، وأُرْسِلَ بـ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [٢]».

الشَّرْحُ

[١] نُبئ ﷺ بعد تمامه الأربعين؛ لأنه الوقت الذي يبلغ الإنسان أشده وقوته، عقلياً وجسمياً، بُعِث علىٰ تمام الأربعين، فمدة النبوة والرسالة ثلاثة وعشرون سنة، وله من العمر ـ علىٰ الصحيح ـ ثلاث وستون سنة، وقيل: ستون سنة، وقيل: خمسة وستون.

[٢] فنبأه الله وأنزل: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العَلق: ١] ثم بعد فترة أرسل بسورة: ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾؛ لأنه جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في غار حراء وهو يتعبّد ما توارثه عن دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويأخذ ويتزوّد ما يكفيه من الطعام والشراب لليلتين أو ثلاث ليالٍ، ثم يذهب للعبادة في الغار، وجاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ صورته وله ستمائة جناح، تملأ ما بين السماء والأرض، فرُعِبَ منه رعباً شديداً، وقال له: «**اقرأ**»، **فقال: «ما أنا بقارئ»**، فغطه[(١)].

حتى بلغه من الجَهد، فقال له مرة أخرى اقرأ، وغطَّه المرة الثانية حتى بلغه من الجهد، كل ذلك والنبي يكرر أنه ليس بقارئ، ليس امتناعاً منه ﷺ، ولكن لأنه ليس قارئا، ولم يتعلم القراءة،

(١) الغط: هو العصر الشديد والضم.

فكان ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وقال العلماء: هذا توطئة لتحمل الرسالة، لأن الرسالة عبء ثقيل، ثم قال في الثالثة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العَلق: ١-٥].

فرجع يرجُفُ فؤاده من رؤية المَلَك، مذعوراً خائفاً، وجاء لزوجته خديجة، فقالت: «كلّا؛ والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتكرم الضيف، وتكسب المعدوم، وتحمل الكلّ(١)، وتعين علىٰ نوائب(٢) الحق»، هذه خصال حميدة، من اتصف بها لا يخزيه الله أبداً، وبشرّته وذهبت به إلىٰ ابن عمها ورقه بن نوفل، وكان رجلاً تنصّر، وكان يقرأ من الكتب العبرانية، فسأله فقال: ما الذي يأتيك؟ فقال: كذا وكذا، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقال: «هذا الناموس الذي كان يأتي موسى، وإنك نبي هذه الأمة، ياليتني أكون جذعاً(٣) حين يُخرجك قومك»، لأنه شيخ كبير قد طعن في السن، فقال: «**أوَمُخرِجيَّ هم؟**» قال: «نعم، لم يأتِ أحدٌ مثل ما أوتيت به إلا أوذي»، ثم لم ينشب ورقة أن توفي(٤).

وجاء في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ بشرّه بالجنة؛ لأنه أول من آمن به.

ثم بعد مدة قال: «**دثروني، دثروني، زملوني، زملوني**»، وذلك بعد أن جاءه الملك وقال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾

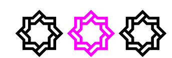
(١) الكل: الثقل من كل ما يتكلف، وقيل: العيال ومن يحتاج إلىٰ رعاية ونفقة.
(٢) النوائب: جمع نائبة وهي ما ينزل بالإنسان من الكوارث والحوادث المؤلمة.
(٣) الجذع: الشاب الفتي القوي الذي يستطيع أن ينصر غيره، ويرفع عنه الظلم.
(٤) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي : كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟، رقم (٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ، رقم (١٦٠).

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [المدَّثِّر: ١-٣] فصار رسولاً، فأنذر الناس.

- **وبذلك يكون للنبي ﷺ مرحلتان في النبوة والرسالة عبر ذكرهما القرآن الكريم، وهاتان المرحلتان هما:**

- الأولى: مرحلة النبوة، وكانت بتنزيل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العَلق: ١] والتي صار بها ﷺ نبياً.

- الثانية: مرحلة الرسالة، وكانت بتنزيل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدَّثِّر: ١-٢] فحذّر الناس، وصار ﷺ بنزولها رسولاً.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِيْنَةِ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالدَّعْوة إِلَى التَّوْحِيدِ [١]، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ [٢]﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدَّثِّر: ١-٧]. وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾: يُنْذرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ [٣]. ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ وَالرُّجْز: الأَصْنامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ [٤]. وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ[٥]».

الشَّرْحُ

[١] وكذلك يدعو ﷺ إلىٰ ما أوجبه الله ﷻ من الخصال الحميدة، وينهى عن الشرك وما نهى الله عنه من الأعمال السيئة، والخصال الذميمة، والدليل علىٰ رسالته ما جاء في سورة المدثر من قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدَّثِّر: ١-٧].

[٢] ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾﴾ يعني: تدثّر بالثياب وتغطى بها. ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ هذا أمر قم أنذر الناس عن الشرك. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾ أي: عظم ربك بالتوحيد، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ أي: طهر أعمالك من الشرك.

[٣] والثياب تطلق علىٰ الأعمال، وقيل: الثياب من النجاسة، لكن المهم طهارة الأعمال من الشرك، أما تشريع تطهير الثياب من المنجاسات فإنما كان في المدينة وهذا في مكة.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ الرجز أي: الأصنام، فاهجر أي: اتركها، واترك أهلها، وتبرأ منها ومن أهلها.

[٤] أي: استمر علىٰ هذه الدعوة في مكة عشر سنين، ولم ينزل شيء من الشرائع، لا زكاة، ولا صيام، ولا حج إلا الصلاة، إذن المهم هو التوحيد، وهو أصل الدين وأساس الملة، ولا تصح الأعمال إلا بالتوحيد، ولأنهم كانوا مشركين في مكة، كان ﷺ يدعوهم إلىٰ التوحيد طوال فترة إقامته بينهم، وهي عشر سنين، ثم بعد ذلك نزل فرض الصلاة إجمالاً.

[٥] يقول المؤلف رحمه الله أن النبي ﷺ بعد أن قضى بمكة عشر سنين يدعو إلىٰ التوحيد عرج به إلىٰ السماء، يعني قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: قبلها بسنة علىٰ خلاف، والمؤلف اختار أنه عُرِج به قبل ثلاث سنين.

فعُرِج به ﷺ إلىٰ السماء بعدما أُسرِي به من مكة إلىٰ بيت المقدس، لأن الإسراء والمعراج في ليلة واحدة علىٰ الصحيح، وأسري به بروحه وجسده، يقظةً لا مناماً.

وقيل: أُسري به مناماً.

وقيل: أُسري بروحه.

وقيل: مرةً يقظة، ومرة مناماً.

وقيل: الإسراء في ليلة والمعراج في ليلة.

والصواب: أن الإسراء والمعراج في ليلةٍ واحدة، مرةً واحدة

يقظةً لا مناماً، بروحه وجسده، لقول الله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] والعبد: اسم للروح والجسد، عُرِج به إلىٰ السماء بعدما أُسري به. وأسري به بالبُراق؛ بصحبة جبريل عليه السلام.

والبُراق: دابة، فوق الحمار ودون البغل، أكبرمن الحمار وأقل من البغل، ركبه جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ من مكة، سافر به إلىٰ بيت المقدس في الشام، وهذا البراق خَطْوُه مَدُّ البصر ـ يعني: الخطوة الواحدة هي نهاية البصر ـ، فقطع المسافة التي بين مكة والشام كانوا يقطعونها في شهر في ذلك الزمن علىٰ الإبل، قطعه في مدة وجيزة ما يُقارب ساعة أو ساعة ونصفاً، مثل سرعة الطائرة تقريباً، وسمي البراق بذلك لأن فيه برقاً ولمعاناً، ثم لما وَصَلا إلىٰ بيت المقدس ربط البُراق أي الدابة في حلقة باب بيت المقدس، وجُمع الأنبياء فصلى بهم النبي ﷺ، ثم أُتي بالمعراج، وهو كهيئة الدرج، فصعِدَ فيه جبريل عليه السلام ثم النبي ﷺ من بيت المقدس إلىٰ السماء.

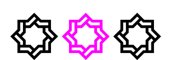
- صعد ﷺ إلىٰ السماء الدنيا: ووجد فيها آدم عليه السلام.
- ثم السماء الثانية: فوجد فيها يحيى وعيسى عليهما السلام.
- ثم السماء الرابعة: فوجد فيها يوسف عليه السلام.
- ثم السماء الثالثة: فوجد فيها إدريس عليه السلام.
- ثم السماء الخامسة: فوجد فيها هارون عليه السلام.
- ثم السماء السادسة: فوجد فيها موسى عليه السلام.
- ثم السماء السابعة: فوجد فيها إبراهيم عليه السلام.
- وكل سماء محروسة؛ لها حُرّاس، وكل سماء يستفتح جبريل، فيقال: «مَنْ؟» فيقول: «جبريل»، فيقال: «من معك؟»

فيقول: «محمد» فيقال: «قد أُرسِل إليه؟» فيقول: «نعم».

- وكل واحد من الأنبياء يُرحِّبُ به، ويَقِّرُ بنبوته، فآدم قال: «مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح»، وإبراهيم قال: «مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح»، وبقية الأنبياء قالوا: «مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح»، ثم تجاوز إلىٰ سدرة المنتهى بعد السبع الطِباق، حتى وصل إلىٰ مكان يسمع فيه صريف الأقلام، فكلّمه رب العزة والجلال بدون واسطة، لكنه لم يرَ الله علىٰ الصحيح، بل كلمه من وراء حجاب، وقيل: رأى الله، وهو قول مرجوح، والصواب أنه رآه بعين قلبه لا بعين رأسه، لأنه لا أحد يستطيع أن يرى الله في الدنيا، حتى النبي ﷺ؛ فلو كشف الله ﷻ وجهه لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ[(١)].

ولما سأل موسى ﵇ الرؤية: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

- لا يستطيع أحد أن يرى الله في الدنيا، ورؤية الله من النعيم الذي ادخره الله ﷻ لأهل الجنة.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، بَابُ فِي قَوْلِهِ ﵇: إِنَّ اللهُ لَا يَنَامُ، وَفِي قَوْلِهِ: حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ، رقم (١٧٩).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ [١] وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ [٢]، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى «الْمَدِينَةِ»، وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ [٣]».

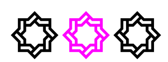
الشَّرْحُ

[١] فرض الله عليه خمسين صلاة، فلما وصل إلىٰ السماء السادسة سأله موسى عليه السلام؛ كم فرض ربك؟ قال: «**خمسين صلاة**»، قال: ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف عن أمتك، لأن أمتك ضعيفة لا تقبل خمسين صلاة في اليوم والليلة فاستشار جبريل فأشار إليه؛ فعلا به إلىٰ الجبار سبحانه فوضع عشراً، وفي رواية خمساً، خمساً، فجعل يتردد بين ربه وموسى؛ حتى خففها الله إلىٰ خمس صلوات، فأمره موسى أن يخفف عن الخمس؛ فقال: «**لا**»، قال: «**إني سألت ربي حتى استحييت**»، فنادى منادٍ من السماء إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ما يبدل القول لدي خمس في العدد وخمسون في الأجر في الميزان. وهذا يدل علىٰ عظم شأن الصلاة، وفرضت عليه خمس صلوات.

[٢] صلى في مكة وليس هناك صلاة جماعة، أما الأذان وصلاة الجماعة فقد فُرِضَا في المدينة.

[٣] الهجرة هي: الانتقال من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام هذا إلىٰ قيام الساعة، وأما الهجرة من مكة فقد انتهت بعد أن فُتِحت مكة

وصارت بلد الإسلام، والدليل علىٰ وجوب الهجرة من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام قوله ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح**»(١).



(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَابُ فَضْلِ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، رقم (٢٧٨٣)، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٦٤).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلام، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ [١] ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ [٢] قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا [٣] ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النِّسَاء: ٩٧-٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ [٤] ﴿٥٦﴾﴾ [العَنكبوت: ٥٦] قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ».

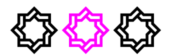
الشَّرْح

[١] أي: ولا زالوا مقيمين بين الكفار.

[٢] فهذه مسألة كبيرة توعد الله عليها بالنار.

[٣] استثناهم الله ﷻ لضعفهم وعجزهم عن الهجرة.

[٤] فالمكان الذي لا تستطيع أن تعبد الله فيه: انتقل عنه إلىٰ غيره.



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(١).

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ [١]، أَخَذَ عَلَىٰ هذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ - صَلواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ - وَدِينُهُ بَاقٍ.

وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ، بَعَثَهُ الله فِي النَّاسِ كَافَّةً [٢]».

الشَّرْحُ

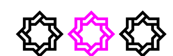
[١] كل هذه الشرائع وغيرها فرضت في المدينة.

[٢] فرسالة النبي ﷺ موجهة للثقلين الجن والإنس، فمن قال: «رسالته خاصة للناس»، أو قال: «إن بعده نبي»، فهو كافر بإجماع المسلمين، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، بَابٌ فِي الْهِجْرَةِ هَلِ انْقَطَعَتْ؟، رقم (٢٤٧٩).

ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبإ: ٢٨]، وقال ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفُرقان: ١].

وقال ﷺ: «**بُعِثتُ إلىٰ الناس عامة**». فكل نبي بُعِثَ إلىٰ قومه خاصة، وبعث النبي ﷺ إلىٰ الناس كافة وبعث إلىٰ الجن كذلك. وهذا من خصائص النبي ﷺ.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ [١]؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَكَمَّلَ الله بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ [٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمَر: ٣٠-٣١]».

الشَّرْحُ

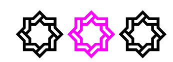
[١] طاعة النبي ﷺ واجبة علىٰ الإنس والجن جميعاً، وهو ﷺ رسول الله إلىٰ العرب والعجم من الجن والإنس، والجن مُكلّفون بالشرائع مثلما كُلِّف الإنس؛ والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

[٢] فهو ميّت، ولكنه حيٌّ حياةً برزخيه، وجسده الشريف لا تأكله الأرض، طري باقٍ، قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ** عليهم السلام»[(١)].

(١) أخرجه أبو داود: أبواب الجمعة، بَابُ فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، رقم (١٠٤٧)، والنسائي: كتاب الجمعة، إِكْثَارُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، رقم (١٣٧٤)، =

وأما سائر الناس فتبلى أجسامهم، ولا يبقى إلا عجب الذنب آخر فقرة في العمود الفقري، يقول النبي ﷺ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»(١).

وقد ذكر المؤلف رحمه الله الدليل على موته ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر: ٣٠] فبعض الناس يُنازع أنه لم يمت، وكذلك يدل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٤].



= وابن ماجه: كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابٌ فِي فَضْلِ الْجُمُعَةِ، رقم (١٠٨٥)، قال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ، رقم (٢٩٥٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[١] [طه: ٥٥]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نُوح: ١٧-١٨].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النَّجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ [٢]، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التَّغابُن: ٧] [٣].

أَرْسَلَ الله جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ [٤]؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النِّسَاء: ١٦٥]».

الشَّرْح

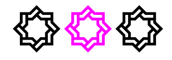
[١] يعني: الأرض، فهذا دليل علىٰ البعث، وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزّلزَلة: ٧-٨].

[٢] ومن قال كقول الفلاسفة: «الأرواح هي التي تُبعث» فهو كافر.

- فالأرواح باقية، روح المؤمن إذا مات نُقِلت إلىٰ الجنة ولها صلةٌ بالجسد، وروح الكافر تُنقل إلىٰ النار ولها صلة بالجسد، والجسد يَبلى، والأرواح باقية في نعيم أو في عذاب، لابد من الإيمان ببعث الأجساد. ومن لم يؤمن به فهو كافر.

[٣] ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [سَبَإ: ٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ﴾ [يُونس: ٥٣].

[٤] أرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، وهذه وظيفة الرسل، يُبشّرون من أطاعهم، ومن وحّد الله بالجنة، ويُنذرون من عصاهم من النار، والمؤلف يربط كل مسألة بالدليل، فذكر الدليل علىٰ ذلك. وهو قوله تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٣].





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ [١] وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النِّساء: ١٦٣].

وَكُلُّ أُمة بعث الله إليهم رسولا من نوح إلىٰ محمد يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الله وَحْدَهُ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ [٢]؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النّحل: ٣٦] وَافْتَرَضَ الله عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ[٣] وَالإِيمَانَ بِاللهِ».

الشَّرْحُ

[١] نوح أوّل رسول بعثه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلىٰ الأرض بعد وقوع الشرك، أرسله الله إلىٰ بنيه وغيره، لكن سبقه نبيٌّ، وهو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان نبياً بين ذريته، لكن الشرك لم يقع في زمانهم، بل وقعت المعصية فقط، فقابيل قتل أخاه هابيل.

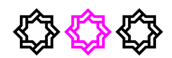
قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾ [يُونس: ١٩] قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم علىٰ التوحيد، ثم فشا الشرك في قوم نوح، ومات قومٌ صالحون في زمن نوح، مثل: «ود، وسواع، ويغوث، ويعوق ونسر» في زمن متقارب، فحزنوا عليهم فصوّروهم ليتذّكروا عبادتهم ليكون تشويقاً لهم، ثم جاء أحفادهم فعبدوهم، كذب عليهم إبليس فقال:

«إن آباءكم كانوا يستسقون بهم» فعبدوهم، فأرسل الله نوحاً بعد حدوث الشرك[١].

وكذلك كان آدم نبياً إلىٰ بَنيه، ما معهم غيره، وأما نوح فهو نبيٌّ إلىٰ بَنيه وإلىٰ غير بَنيه، وهو أول رسول بعثه الله بعد وقوع الشرك.

[٢] كُلُّ أمةٍ بعث الله إليهم رسولاً من نوح؛ إلىٰ محمد ﷺ، يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت والشرك، وعن عبادة غير الله، والطاغوت كل ما عُبِد من غير الله ـ فهو الطاغوت، إلا من لم يرضَ بالعبادة، كالأنبياء وعيسى، فلا يُسمى «طاغوتا».

[٣] والكفرُ بالطاغوت هو: البراءة من كل معبود سوى الله وتركها، ومُعاداتها وبُغضها وبغض أهلها، وأن تعتقد بُطلان عبادة غير الله، وتتركها وتُنكِرها، وتكّفِر أهلها، وتَبغضهم وتُعاديهم، هذا فرض علىٰ كل مسلم. كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] وكلمة التوحيد تشمل هذين الجانبين: ففيها كفرٌ بالطاغوت، وهو «لا إله»، وفيها الإيمان بالله ـ، وهو «إلا الله».



(١) انظر: تفسير ابن جرير (٢/ ٢٧٥، ٢٣/ ٦٣٩) والدر المنثور (٨/ ٢٩٣-٢٩٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رحمه الله تَعَالَى ـ: «مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ [١] مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ»(١). وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ. وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ:

إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ [٢].

وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ [٣].

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ.

وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ.

وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

وَالدَّلِيلُ [٤] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ [٥] قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ [٦] فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ [٧] لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]».

الشَّرْحُ

[١] حَدُّ أيِّ مخلوقٍ أن يكون عبداً لله، فإذا تجاوز حدَّه ورضي بأن يُعبد صار طاغوتاً، وكذلك المتبوع إذا رضي أن يُتبع في الباطل تجاوز حده فصار طاغوتاً، وكذلك إذا رضي المخلوق أن يُطاع في معاصي الله صار طاغوتاً.

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٤٠).

- فحد أي مخلوق أن يكون: مؤمناً لله، مطيعاً لله، وعابداً لله، ومتبعاً طريقة النبي ﷺ.

[٢] الرأس الأول: إبليس ـ لعنة الله عليه ـ، وهو قوّادٌ لكل شر وفتنة.

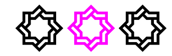
[٣] الرأس الثاني: من عُبِدَ وهو راضٍ، أي يعبده الناس برضى منه.

[٤] أي: الدليل علىٰ أنه يجب علىٰ الإنسان أن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله.

[٥] قيل: هذا قبل الجهاد، وقيل: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب، لأنهم مخيرون بين الإسلام والجزية.

[٦] الرشد هو: دين النبي ﷺ، والغي هو: الكفر، أي وَضَح الإيمان من الكفر.

[٧] العروة الوثقى هي: كلمة التوحيد؛ أي، قد تبين الرشد من الضلال، والإيمان من الكفر، فلا أحد يُكره في الدين، لأن الرشد قد تبين ووضح، فمن يكفر بالطاغوت، فيتبرأ من عبادة غير الله، ويتركها ويبغضها، ويُعاديها ويُعادي أهلها، ويؤمن بالله فهذا هو المؤمن «فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى»، وهذا هو معنى «لا إله إلا الله».



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

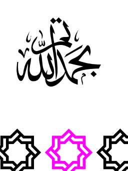
«وَهَذَا هُوَ مَعْنَى «لا اله إلا اللهُ» وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ[١] الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[(١)].

وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلىٰ آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

الشَّرْحُ

[١] أي: رأس الإسلام: التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ، والشهادة لله بالوحدانية، والشهادة للنبي ﷺ بالرسالة، وعموده: الصلاة الركن الأعظم، وأعلىٰ شيء فيه: الجهاد في سبيل الله.

وصلى الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.



(١) أخرجه الترمذي: أبواب الإيمان، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ، رقم (٢٦١٦) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وابن ماجه: كتاب الفتن، بَابُ كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ، رقم (٣٩٧٣).


شرح
القواعد الأربع

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنا نحمد الله أن منّ علينا بالكلام علىٰ هذه «**القواعد الأربع**» للإمام المجدد: محمد بن عبدالوهاب ـ رحمة الله عليه ـ؛ فأهميتها بالغة، لما في ذلك من التمييز بين التوحيد والشرك.

وسميت بالقواعد الأربع؛ لاشتمالها علىٰ قواعد أربع يتميز بها المؤمن من الكافر، والمشرك من الموحد، وأدلتها مأخوذة من الكتاب والسنة.

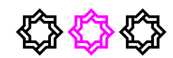
فنسأله جل وعلا أن يجعلنا من الموحدين المخلصين، وأسأله أن يثبتنا علىٰ الهدى، ويهدي ضال المسلمين، وصلى الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين.

✍ **كتبه**
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي



قَالَ المُؤَلِّفُ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ:

«أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».



الشَّرْح

بدأ هذه الرسالة بالدعاء، وهذا من نصح الإمام ـ رحمة الله عليه ـ أنه يعلمك ويدعو لك.

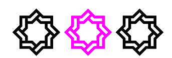
وتوسل إلىٰ الله بعظمته وبربوبيته للعرش الذي هو أعلىٰ المخلوقات، وباسمه الكريم.

أن يتولاك يا طالب العلم في الدنيا والآخرة، ويوفقك لما فيه صلاح دينك وآخرتك، ومن تولاه الله في الدنيا والآخرة سعد سعادة لا يشقى بعدها.

۞۞۞

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ».



أي: يجعلك مباركاً أينما كنت، في عملك، وفي نفع الناس، وفي الجاه، وفي الشفاعة، وفي كل شيء.

والمبارك: هو الذي يتعدى نفعه للآخرين من إطعام جائعهم، وتحمل أثقالهم وعونهم.

❁❁❁

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاث عُنْوَانُ السَّعَادَةِ».

الشَّرْحُ

علامات السعادة؛ إذا أصابه نعمة شكر، وإذا أصابته بلية صبر، وإذا أذنب يتوب، ويستغفر.

والإنسان يتقلب بين هذه الحالات الثلاث؛ وتفصيلُها كالتالي:

- **الحالة الأولى**: أن يكون في نعمة فعليه أن يشكرها.

والشكر يكون بثلاثة أمور: باللسان. وبالقلب. وبالجوارح.

قال الشاعر:

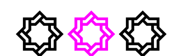
أفادتكم النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

- **الحالة الثانية**: أن يكون الإنسان مبتلى بمصيبة في نفسه بمرض أو فقر، أو في ولده، أو في أهله، فيكون صابراً ولا يتجزع، ولا يتسخط، وقوام ذلك بأن يحبس لسانه عن التشكي، ويكف جوارحه عما يغضب الله ﷻ ويحبس نفسه عن الجزع، فلا يلطم خداً، ولا يشق جيباً، كما قال النبي ﷺ لآل أبي سلمة لما توفي أبو سلمة: «**لا تقولوا إلا خيراً، فإن الملائكة يؤمنون علىٰ ما تقولون**»[1].

(١) صحيح مسلم (٤/٤٧٨): كتاب الجنائز، بَاب ما يقال عند المريض والميت.

- **الحالة الثالثة**: أن يكون الإنسان مذنباً، فعليه الإقلاع عن الذنب، ثم الندم علىٰ ما مضى، ثم يعزم علىٰ عدم العودة والاستغفار، وأن يرد المظلمة إلىٰ أهلها.

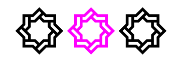
فالإنسان دائر بين نعمة فيشكر، أو مصيبة فيصبر، أو ذنب فيستغفر، فإذا كان الإنسان يشكر الله علىٰ النعمة، ويصبر علىٰ المصيبة، ويتوب ويستغفر إذا أذنب، فهذه الثلاث عنوان السعادة.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ».

الشَّرْحُ



قوله: «اعلم» هذا أمر من باب الإنتباه، ومعناه: اجزم وتيقن ـ وهو حكم الذهن الجازم ـ.

والعلم هو: اليقين من غير شك ومن غير تردد.

وأما من يعلم ولا يعمل فهذا غاوي، ومن يعمل بدون علم فهذا ضال، والراشد من يعمل بعلم وبصيرة.

۞۞۞



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَنَّ الْحَنِيفِيَّة مِلةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦]».

الشَّرْحُ

الدين يطلق علىٰ: العبادة، ويطلق علىٰ: الجزاء والحساب.

والحنيفية هي التي أمر الله تعالىٰ نبيه ﷺ أن يتبعها بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النّحل: ١٢٣].

ومعناها: لا إله إلا الله، والحنيفية هي التوحيد، وهي أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وهذا هو معنى لا إله إلا الله. فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله.

وكلمة التوحيد هي: عبادة الله وحده مع ترك الشرك، وهذا لا يكون إلا بالنفي والإثبات (لا إله) نفي، (إلا الله) إثبات.

فالإثبات: هو عبادة الله تعالىٰ، والنفي: هو البراءة من كل معبود سوى الله؛ وهذا هو الإخلاص.

والإخلاص لا يكون إلا بالكفر بالطاغوت والإيمان بالله ﷻ كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

والحنيفية سميت حنيفية من الحَنَف، وهو الميل؛ لكونها مائلة عن الشرك، وتسمى: الإسلام، وتسمى: الملة العوجاء، لأنها مائلة

عن الشرك؛ وهي مستقيمة في نفسها.

ومعناها: أن تتقرب إلىٰ الله بالعبادات، وتوجه جميع إراداتك لله مع الإخلاص.

بمعنى أن تخص الله بهذه العبادة وتنفيها عن غيره.

فتعبد الله بالدعاء، ولا تدعو غيره، وتعبد الله بالذبح، ولا تذبح لغيره، وتعبد الله بالسجود، ولا تسجد لغيره، فلابد من عبادة الله وحده مع الإخلاص.

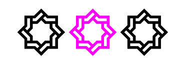
وأمر الله جميع العباد بعبادته، وخلقهم لها الجن والإنس: كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذّاريَات: ٥٦].

وهذا الذي أرسلت به الرسل، وبعثت به، وأنزلت به الكتب كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبيَاء: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾ [النّحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النِّسَاء: ٣٦].



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ».

الشَّرْحُ

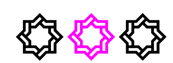
والتوحيد: هو إخلاص العبادة لله تعالىٰ، وهو إفراد الله بالعبادة، بأن لا يقع في الشرك، فإن وقع في الشرك زال التوحيد، وإذا زال التوحيد فسدت العبادة وبطلت، فالعبادة الصحيحة لا تكون إلا مع التوحيد.

العبادة لا تسمى عبادة إلا مع الإخلاص أي إلا مع الكفر بالطاغوت، وهو البراءة من عبادة كل معبود سوى الله، والبراءة منها ونفيها وبغضها وإنكارها ومعاداة أهلها.

فلو صلى إنسان فلا يسمى عابدا لله إلا إذا أخلص لله العبادة، فقد يصلي لله ويصلي لغيره، ولهذا قال المشركون للنبي ﷺ أعبد إلهنا سنة ونعبد إلهك سنة، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافِرون: ١-٦].

كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا لم يتطهر لم يعد مصلياً، وكالحدث إذا خالط الطهارة لا يسمى طهارة، فلذلك فإن الشرك إذا دخل العبادة أفسدها، فإذا عرفت أن العبادة إذا دخلها الشرك بطلت وصار صاحبها من أهل النار كان لابد أن تميز التوحيد من الشرك والعبادة الصحيحة من العبادة الفاسدة.

وإذا عبد الإنسان ربه ثم أشرك بطلت العبادة وفسدت، وصار من أهل الشرك والأوثان، نسأل الله السلامة والعافية، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ أعمالهم تشهد عليهم ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [التوبة: ١٧].





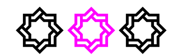
قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ، عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ»

الشَّرْحُ

إذا عرفت أن العبادة إذا دخلها الشرك بطلت وصار صاحبها من أهل النار، صار وثنياً، من أهل النار المخلدين فيها، فإذا تحققت من هذا، صار أهم ما عليك أن تتبين معرفة التوحيد والشرك فلا يلتبس الحق بالباطل، والتوحيد بالشرك والعبادة من غيرها، والعبادة الصحيحة من العبادة الفاسدة، لعل الله أن يخلصك ويسلمك من الشرك.

وإذا كان الشرك لا يغفره الله وصاحبه مخلد في النار، والجنة عليه حرام، فإن ذلك يوجب علىٰ المسلم العناية بهذا الأمر وشدة الحذر منه، ويمكن أن يتخلص من هذه الشبكة بمعرفة هذه الأربع قواعد التي تميز بين المشرك والموحد والتي ذكرها الله في كتابه.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨، ١١٦]».

الشَّرْحُ

الشرك يحبط العبادة قال تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٥].

فالشرك هو أعظم الذنوب، وأقبح القبائح، وأظلم الظلم، من لقي الله به، فإن الله لا يغفر له، وصاحبه مخلد في النار، وهذا أمر عظيم، فإذا عرفت العبد ذلك وجب عليه العناية بذلك، وأن يعرف الشرك وطرقه وذرائعه الموصلة إليه، وأن يدعو الله أن يجنبه الشرك كما قال الله تعالىٰ عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥] أي: اجعلني في جانب، وهذه الأصنام في جانب، واجعل بيني وبينها مسافة بعيدة، والخليل هو الذي كسر الأصنام، وقاطع الناس كلهم، بقي وحده أمام هؤلاء الكفار، وقال الله عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، ومع ذلك يخاف الشرك، ويسأل ربه أن يجنبه الشرك.

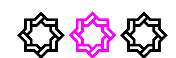
قال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم[(١)] فإذا كان إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ يخاف الشرك فمن يأمن بعده.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٧/١٧) وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/٤٦).

قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

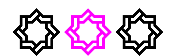
فيه: أن الشرك ذنب عظيم لا يغفره الله، ومن لقي الله به فإنه لا يغفر له، وأما من لقيه دون الشرك فهو تحت المشيئة إن شاء الله غفر له، بمنه، وبفضله، وكرمه، وإن شاء عذبه بعدله، ولهذا أهل المعاصي دون الشرك وإن طال بقاؤهم في النار يخرجون، ولا يخلد في النار، إلا الكفرة، فمن مات علىٰ الشرك فهو خالد في النار.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ».



هذه القواعد مأخوذة من الكتاب العزيز، وبها يتميز المسلم من المشرك.

۞۞۞

القَاعِدَةُ الأُولَى

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]».

الشَّرْحُ

أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله واستحل دماءهم، وأموالهم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن الله تعالىٰ هو الخالق الرازق المدبر، ومع ذلك استحل دماءهم، وكفَّرهم، وهذا التوحيد يسمى توحيد الربوبية، وهو توحيد الله بأفعاله: توحيد الله بأفعال الرب وهي: الخَلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، وغيرها من أفعاله سبحانه.

وقد جاءت آيات تدل علىٰ إقرار الكفار بتوحيد الربوبية، منها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ

ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يُونس: ٣١].

٢- قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزّخرُف: ٨٧].

فكفار قريش في زمن النبي ﷺ مقرون بتوحيد الربوبية، ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام، والسبب أنهم أنكروا توحيد الألوهية، وإخلاص العبادة لله وحده: الدعاء، والذبح، والنذر وغيرها. أشركوا مع الله غيره، فيذبحون لله ويذبحون لغيره، وينذرون لله وينذرون لغيره، ويدعون الله، ويدعون غيره وهذا هو الشرك؛ ومع إقرارهم بتوحيد الربوبية كفرَّهم رسول الله ﷺ، وقاتلهم، واستحل دماءهم وأموالهم.

القاعدة:

أن دخول الإسلام يشترط فيه الإقرار بتوحيد الربوبية مع الإقرار بتوحيد الألوهية وهو توحيد العبادة.

وتوحيد الألوهية: هو توحيد الله بأفعال العبد من دعاء، ونذر، وصلاة، وذبح، وركوع، وغيرها من أنواع العبادة.

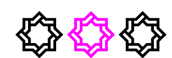
الخلاصة:

١- أن توحيد الربوبية: توحيد الله بأفعاله سبحانه، وأما توحيد

الألوهية : فهو توحيد الله بأفعال العباد.

٢- أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي للدخول في الإسلام.

٣- أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده يحل الدم والمال والقتال كما فعل النبي ﷺ مع كفار قريش؛ لأنه لم يأت ملازمه وهو توحيد الألوهية.



القَاعِدَةُ الثَّانِيَّةِ

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِم إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمَر: ٣]».

الشَّرْح

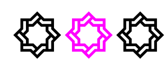
كفار قريش في عهد النبي ﷺ يعبدون أنواعاً من المخلوقات والمعبودات، منها: الشمس والقمر، ومنها: الملائكة، والأشجار والأحجار، وغيرها. يدعونهم وينذرون لهم ويتوجهون إليهم ويقصدون طلب القربة من الله والشفاعة. ويقولون: ما دعونا الأصنام والأشجار إلا لطلب القربة والشفاعة، لأجل أنهم يقربوننا إلىٰ الله تعالىٰ ويشفعون لنا عنده.

ودليل ذلك: قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي من دون الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] أي قائلين ما نعبدهم إلا ليقربونا إلىٰ الله زلفى.

ثم حكم الله عليهم في الآية بحكمين:

١- أنهم كذبة في قولهم؛ إنها تقربهم إلىٰ الله، بل إنها تُبعِدُهم عنه سبحانه.

٢- أنهم كفار بهذا العمل؛ حينما يدعون الأولياء، ويذبحون للأصنام، أو الأشجار، أو الشمس، وينذرون لها. فهذا هو الشرك الأكبر، ولهذا رد الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ [الزُّمَر: ٣] فمن دعا غير الله، أو تقرَّب، أو نذر لغير الله، أو ركع لغير الله، فإنه كافر بنص القرآن، حتى لو اعتقد أنها لا تنفع ولا تضر.



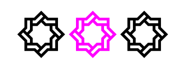
قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَلِيلَ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]».

الشَّرْحُ

ودليل دعواهم أنها تشفع قوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ [يونس: ١٨] هل أنتم تخبرون الله بشيء لا يعلمه في السماوات ولا في الأرض، وهو سبحانه لا يعلم أنه لا شريك له في العبادة.

فهم يثبتون الشفاعة والقربة، ولكن هذا العمل كفرَّهم الله به، وكذبهم.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَالشَّفَاعَةُ، شَفَاعَتَان: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ:

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّة: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ، وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الْإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]».



والشفاعة نوعان: شفاعة منفية. وشفاعة مثبتة.

النوع الأول: الشفاعة المنفية: هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ وهي شفاعة باطلة منفية غير واقعة ولا يمكن أن تحصل، لأنه لا يقدر عليها إلا الله ﷻ ولا تقدر هذه المعبودات أن تشفع عند الله بدليل قوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ الآية [الأنبيَاء: ٢٨].

مثال الشفاعة المنفية الباطلة: طلب الشفاعة من الأصنام، والأحجار، ومثل قول: يا علي يا حسين يا بدوي اشفع لي.

دليل الشفاعة المنفية:

١- قوله تعالىٰ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤].

٢- قوله تعالىٰ: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غَافِر: ١٨].

٣- قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثِّر: ٤٨].

٤- قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البَقَرَة: ٤٨].

فمن مات علىٰ الكفر لا شفاعة له؛ إنما الشفاعة لأهل التوحيد.

النوع الثاني: الشفاعة المثبتة: هي التي تطلب من الله. وهذه شفاعة حق.

مثال الشفاعة المثبتة: قول يا رب شفّع فيّ نبيّك. وهو موحد.

حقيقتها: أن الشافع مكرم بالشفاعة، فالله يكرم الشافع بالإذن له، وإلا فالفضل يعود لله سبحانه.

شرطا الشفاعة المثبتة:

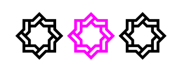
١- إذن الله للشافع أن يشفع: فالله لا يأذن لأحد أن يشفع في أهل الكفر والشرك.

٢- رضا الله عن المشفوع له: فالله لا يرضى عن المشركين.

فبطلت الشفاعة التي يطلبها المشركون في آلهتهم. فإذا قال بعد موت النبي ﷺ: يا رسول الله اشفع لي فهذا هو الشرك، فإن هذا مما لا يقدر عليه إلا الله، ثمّ إنه دعا غير الله، وكذلك فإن الرسول ﷺ ميت لا يشفع إلا يوم القيامة، ولا يشفع أيضاً إلا بعد

أن يأذن الله بعد أن يسجد تحت العرش، ففي الحديث: «... **فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ...**»(١).

دليل الشرطين: قوله تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النجم: ٢٦] فهذه الآية فيها الشرطان: إذن الله للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع له.



(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ...﴾ [الإسراء: ٣] برقم (٤٧١٢) وفي كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم برقم (٧٥١٠)، وفي كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [نوح: ١] برقم (٣٣٤٠)، ومسلم في كتاب الإيمان برقم (١٩٣).

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ فِي أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]».

الشَّرْحُ

أن النبي ﷺ بعثه الله في أناس متفرقين في عباداتهم منهم: من يعبد الأصنام، أو الأشجار، أو الأحجار، أو الشمس، أو القمر، ومنهم: من يعبد الأنبياء والأولياء، والصالحين، فكفرَّهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم، وأموالهم، وقاتلهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

والفتنة هي الشرك أي قاتلوهم حتى يزول الشرك، ولم يفرق بينهم، فمن يعبد الأحجار، أو الأشجار، أو الشمس، أو القمر، أو الصالحين، أو الملائكة كلهم مشركون وكلهم يقاتلون، وكلهم علىٰ باطل فكل من عبد غير الله فهو مشرك كافر، واستدل المؤلف علىٰ هذه الأنواع.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

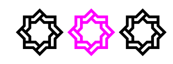
«وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٧]».

الشَّرْحُ

- ودليل عبادتهم الشمس والقمر قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٧].

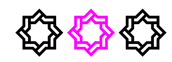
فنهى عن عبادتهم لغير الخالق فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟﴾.

وأمر بعبادته وحده فقال: ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠]».

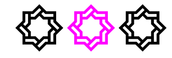


ودليل النهي عن عبادة الملائكة قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (٤١)﴾ [سبإ: ٤٠-٤١].

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المَائدة: ١١٦]».



والدليل علىٰ أن هناك من يعبد الأنبياء قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المَائدة: ١١٦].

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]».

الشَّرْحُ

والدليل علىٰ أن هناك من يعبد الصالحين قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

أي: أن الذين تدعون من دون الله يطلبون الوسيلة، وهي التقرب إلىٰ الله بالطاعة، أي هؤلاء الصالحين الذين يدعونهم هم يطلبون القربة إلىٰ الله بطاعته؛ فكيف يعبدونهم وهم يعبدون الله، ويطلبون القربة منهم والصالحون يتقربون إلىٰ الله.

قيل: إن هذه الآية نزلت في قوم يعبدون الجن، فأسلم الجن، وبقي الذين يعبدونهم علىٰ شركهم، ولم يعلموا بإسلامهم، فأخبرهم الله قال: الذين تدعونهم موحدون، وأنتم بقيتم علىٰ شرككم، أولئك الذين تدعون أسلموا أيها الإنس المشركون[١].

والوسيلة القربة أي: يطلبون إلىٰ الله القربة بطاعته.

۞۞۞

(١) انظر: صحيح البخاري باب قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ الْآيَةَ [الإسراء: ٥٧] حديث برقم (٤٣٤٦) وتفسير سورة الإسراء، تفسير ابن كثير (٥/ ٨٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَدَلِيلُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النّجم: ١٩-٢٠]».

الشَّرْح

والدليل علىٰ أن هناك من يعبد الأشجار والأحجار قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النّجم: ١٩-٢٠] وهي الأصنام الكبار عند العرب.

١- اللات: صنم لأهل الطائف (ثقيف) ومن حولهم وهي صخرة، وقيل هو اسم رجل يلتّ السويق[1] للحاج فبالتشديد هو الرجل الذي يلت السويق، وبالتخفيف الصخرة، فلما مات هذا اللات عكفوا علىٰ قبره وعبدوه من دون الله، فصار صنماً كبيراً.

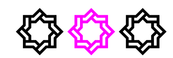
٢- العزى: شجرة في نخلة بالوادي، لقريش ومن حولهم.

٣- مناة: بنية بقديد، لأهل المدينة ومن حولهم بالساحل.

هذه الأصنام الكبيرة ذكرها الله في قرآنه العظيم، والأصنام كثيرة حتى صار لكل أهل قبيلة صنم، بل صار لكل أهل بيت صنم يعبدونه، بل كان الإنسان في الجاهلية ما يصبر عن الأصنام ـ والعياذ بالله ـ من المشركين، إذا خرج في البرية، وذهب لابد يأخذ معه صنماً يعبده، فإذا لم يجد ماذا يعمل، يأخذ الأحجار، يأخذ أحجاراً

(١) السويق: الحب المحموص يبله باللبن، بالماء أو بالسمن.

ثلاثة للقدر الذي ينصبه للطبخ، يأتي بقدر، ويأتي بثلاثة أحجار، يضع القدر عليه، ثم بعد ذلك ينظر في ثلاثة أحجار، ما الأحسن منها فيأخذه له رَبًّا يعبده، وإذا رأى حجراً ثانياً رماه وأخذ الجديد وعبده، حتى كان بعضهم إذا لم يجد شيئاً يجمع تراباً، ثم يأتي بالشاة يحلبها عليه، ثم يعبده، وبعضهم يأخذ قطعة من التمر ثم يعبدها، ويعبدها ثم يأكلها، هكذا وصلت بهم الحال، نسأل الله السلامة والعافية.



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتَ» الحديث[(١)]».

الشَّرْحُ

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، ولما فتح مكة انصرف لقتال هوازن في حنين في الحال، وأخذ معه من أهل مكة الذين أسلموا ما يقارب ألفين من الذين أسلموا حديثاً، ما تمكن الإسلام في قلوبهم.

يقول أبو واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ في غزوة حنين ـ غزوة حنين بعد فتح مكة ـ ونحن حدثاء عهد بشرك» اعتذار من هذا الصحابي يقول: نحن الآن حدثاء عهد، قريب عهدنا بالشرك، أسلمنا من قريب، ولم يتمكن الإيمان في قلوبنا، ولم يتمكن التوحيد.

---

(١) رواه الترمذي في باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم برقم (٢١٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه النسائي في الكبرى في باب قوله تعالىٰ: ﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨] برقم (١١١٢١)، وأحمد في المسند في باب حديث أبي واقد الليثي برقم (٢١٨٩٧).

يقول: «فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ» شجرة كبيرة عظيمة للمشركين، يطوفون حولها، ويعلقون بها أسلحتهم، يرجون بركتها، وهم وثنيون «ينوطون» يعني: يتبركون بها. فقال الذين أسلموا من جديد ـ أبو واقد وجماعته ـ: يا رسول الله، لو جعلت لنا سدرة نتبرك بها، كما يتبرك هؤلاء.

الحديث يشتمل علىٰ فوائد منها:

الأولى: إنكار النبي ﷺ علىٰ الصحابة طلبهم للشرك.

الثانية: أن من طلب الشرك ولم يقع فيه لا يكون واقعاً في الشرك.

الثالثة: أن من أراد فعل الشرك وطلبه ثم زجر ونهي عنه وانتهى لا يقع في الشرك.

الرابعة: تعجب النبي ﷺ من طلبهم حيث قال: «الله أكبر، إنها السنن!»، وهذا المشروع عند التعجب (الله أكبر).

الخامسة: أن الصحابة في طلبهم الشرك سيسلكون مسلك بني إسرائيل مع موسى عندما قالوا: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعرَاف: ١٣٨].

السادسة: أن مقالة الصحابة ـ أبي واقد الليثي وقومه ـ تختلف عن مقالة بني إسرائيل، ومع ذلك جعلها النبي ﷺ مثلها، لأن العبرة بالحقائق والمقاصد، وليست العبرة بالألفاظ.

السابعة: الشرك بالتبرك هو: اعتقاد التبرك بالشجرة، واعتقاد البركة، وأنها تنفع، وأنها كلها بركة.

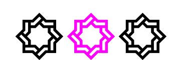
الثامنة: أنه لا فرق بين المعبودات، وأن من عبد غير الله تعالىٰ

فهو مشرك أياً كان معبوده شجراً، أو حجراً، أو ملكاً، أو نبياً وغيرهم، ولذلك فإن المشركين لم يفرق بينهم الرسول ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم.

التاسعة: الرد علىٰ عبّاد القبور: الذين يدعون الأموات من دون الله، وينذرون لهم ويقولون نحن لا نشرك بالله، نحن نشهد أن لا إله إلا الله، ونصلي، ونحج، ونزكي، فإنه يرد عليهم: بأنه ليس كل المشركين يعبدون الأوثان بل بعضهم يعبد الملائكة، وبعضهم يعبد الصالحين، وبعضهم يعبد الشمس والقمر، ولم يفرق بينهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم.

العاشرة: أن الدعاء عبادة، والذبح عبادة، فإذا ذبحت لهؤلاء الأموات فقد انتقضت شهادة أن لا إله إلا لله، ويبطل الصوم، والصلاة، والحج، وجميع الأعمال.

ومثال ذلك: من توضأ فأحسن الوضوء، وتطهر ثم أحسن الطهارة، ثم نقض الوضوء وأحدث، بطلت الصلاة والعبادة، ومنهم يدعون الأموات يا حسين أغثني، ويا عبدالقادر أغثني، وخذ بيدي فتبطل عبادتهم الشهادتين، وتفسد الصلاة، والصوم، والحج، وجميع الأعمال، وانتقل من كونه مسلماً إلىٰ كونه مشركاً.



القَاعِدَةُ الرَّابعةُ

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لِأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُوا زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمًا فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ،وَالدَّلِيلُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العَنكبوت: ٦٥].

تمت وصلَّى اللَّهُ علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم».



هذه القاعدة فيها بيان الفرق بين المشركين الأولين وبين المشركين المتأخرين ـ والمقصود بالمتأخرين: المشركون فيما زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ ـ فالفرق بينهم من وجوه:

الوجه الأول: أن المشركين الأولين أخف شركاً، والمشركون المتأخرون أغلظ وأشد شركاً مع أنهم كلهم مشركون، ولكن الشرك يتفاوت كما أن الكفر يتفاوت كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النّحل: ٨٨].

فالشرك يتفاوت كما أن الموحدين يتفاوتون في التوحيد

والإيمان، بعضهم أقوى إيماناً وتوحيداً، فكذلك المشركون، بعضهم أشد وأغلظ شركاً.

فالمشرك الذي يدعو غير الله مشرك، لكن إذا كان يدعو غير الله، ويؤذي المؤمنين، ويفتنهم عن دينهم، ويحملهم علىٰ الكفر، يكون أشد، فالمشرك الذي يقتصر شركه علىٰ نفسه، هذا مشرك، لكن المشرك الذي يشرك بالله، ويؤذي المؤمنين، ويفتنهم ويجبرهم علىٰ الشرك، يكون أغلظ وعذابه مضاعف.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النّحل: ٨٨] فرق بين الذي يكفر بنفسه فقط، ولا يؤذي غيره أو يصد عن سبيل الله، وبين الذي يحمل الناس علىٰ الكفر ويؤذيهم، هذا كفره غليظ وذنبه أشد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

الوجه الثاني: المشركون الأوائل: يشركون في وقت، ويوحدون في وقت، فإذا كان في الرخاء أشركوا، وإذا جاءت الشدة وتلاطمت الأمواج ذكروا الله فأخلصوا له العبادة كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العَنكبوت: ٦٥] والدين هو العبادة.

وكما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسرَاء: ٦٧].

الوجه الثالث: أن الأولين يعبدون إما نبياً، أو صالحاً، أو شجراً، أو حجراً يسبح الله.

وأما المتأخرون فزادوا عليهم فصاروا يعبدون كفاراً أو فساقاً.

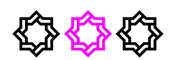
فالذي يعبد الفاسق أو الكافر أشد وأغلظ ممن يعبد الأنبياء والصالحين.

الخلاصة:

لابد من التوحيد في كل حال، ولا بد من التوبة من الشرك، والندم،والإقلاع، أما إذا كان يوحد في وقت ويشرك في وقت فإنه لا يكون موحداً.

فائدة:

من ضبط هذه القواعد الأربع تبين له الشرك من التوحيد.



الخلاصة للقواعد الأربع

القاعدة الأولى:

بيان أن المشركين وحدوا الله بأفعاله، وربوبيته، ولكن لم يوحدوا الله تعالىٰ بأفعالهم فكفرهم الله تعالىٰ.

القاعدة الثانية:

أن المشركين حينما عبدوا الأصنام، والأشجار، أو الملائكة، أو الصالحين مقصدهم القربة والشفاعة لا يعتقدون أنهم يخلقون، أو يرزقون؛ بل مقصدهم أنهم لهم جاه عند الله؛ فهي تقربهم وتشفع لهم عند الله كما أخبر الله عنهم بقوله تعالىٰ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: ٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨].

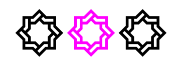
وهذا القصد الذي قصدوه هو الشرك بعينه جعله الله شركاً أكبر، وهذه مقاصد أهل الشرك ممن يدعون أهل القبور من المتأخرين، وهي مقالة المشركين الأولين.

القاعدة الثالثة:

أن المعبودات مهما تنوعت واختلفت، فحكمها واحد ويعمها اسم واحد وهو أنها كلها باطلة، وكل من عبد غير الله من المخلوقات فهو مشرك.

القاعدة الرابعة:

أن المشركين المتأخرين أغلظ، وأشد وأقبح شركاً من الأولين (المتقدمين)، لأن المتقدمين يشركون في وقت ويوحدون في وقت، ويعبدون أنبياء صالحين، وأحجاراً وأشجاراً، تسبح الله، والمتأخرون يشركون في جميع الأوقات، والمتأخرون زادوا عليهم في عبادة الأصنام، والأحجار فعبدوا كفاراً وفساقاً.





تبصير الأنام بشرح
نواقض الإسلام

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا شرح لرسالة «نواقض الإسلام»، التي جمعها الإمام الشيخ المجدّد محمد بن عبدالوهاب ـ رحمة الله عليه ـ وهذه النواقض العشرة هي أهم نواقض الإسلام.

والنواقض: جمعُ ناقضٍ، والنقض: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، وناقِضُ الشيء هو: المبطلُ له والمفسد، فنواقض الإسلام يعني: مفسدات الإسلام ومبطلاته، بمعنى أن الإنسان إذا فعلِ واحدًا من هذه النواقض بطلَ إسلامُه ودينُه، فانتقل من دين الإسلام إلىٰ دين أهل الأوثان ـ والعياذ بالله ـ انتقل من كونه مسلمًا إلىٰ كونه وثنيًّا أو ملحدًا، إلا أن يتوب قبل الموت، فإن لم يتب قبل الموت، وهو علىٰ ناقض من هذه النواقض؛ فإنه يخرج من دين الإسلام ويكون من أهل الأوثان ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

فنواقض الشيء تعني: مبطلاته ومفسداته، مثل: نواقض الوضوء، منها: الخارج من السبيلين، فإذا توضأ الإنسان، ثم خرج منه بول أو غائط بطل وضوءه، وفسد وانتقل من كونه متوضئًا إلىٰ كونه مُحْدِثًا[1].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٢٢٦، ٧/ ١٥٤).

الإسلام: من أسلم أي: استسلم، فالمعنى: استسلم لله وحده بتوحيده وعبادته.

والتوحيد: هو إفراد الله بالعبادة وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البَيِّنَة: ٥].

والعبادة: هي كل ما جاء في الشرع من الأوامر والنواهي، فكل ما أمر به الشارع من أمر إيجاب أو استحباب، أو نهى عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه.

فإذا فعل الإنسان ناقضًا من هذه النواقض العشرة التي ذكرها المؤلف في كتابه هذا انتقل من كونه مسلمًا إلىٰ كونه وثنيًّا من أهل الأوثان ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

واقتصر الإمام رَحِمَهُ اللهُ علىٰ هذه النواقض العشرة؛ لأنها أهم النواقض، ولأن كثيرًا من نواقض الإسلام ترجع إلىٰ هذه العشر.

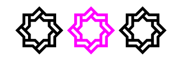
نسأل الله أن يثبتنا على دينه القويم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍ كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

قَالَ المُؤَلِّفُ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

«اعْلَمْ أن نواقض الإسلام عشرة»



«اعْلَمْ»: هذا أمرٌ بالعِلم، والعِلمُ: هو حكم الذهن الجازم، يعني: تيَقَّنْ واعلمْ يقيناً أن الإسلام ينتقضُ بواحدٍ من هذه النواقض العشرة، والعلم خلاف الظن، فالعلم هو اليقين، يعني: تَيَقَّنْ واجزمْ بأن الإنسان إذا فعل ناقضًا من هذه النواقض خرج من الإسلام، اجزِمْ بذلك من غير شكٍ ولا توهم ولا ظنٍّ، واعلم علمًا جازمًا أن الإسلام ينتقض بواحد من هذه النواقض العشرة.

۞۞۞

الناقض الأول:
الشرك

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«**الأول: الشرك في عبادة الله تعالىٰ، قال الله تعالىٰ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨]، **وقال تعالىٰ:** ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المَائدة: ٧٢] **ومنه: الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر**».

الشَّرْحُ

هذا هو الناقض الأول من نواقض الإسلام، وهو الشرك في عبادة الله تعالىٰ.

وقد ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ دليلين؛ دليلًا لِحُكم المشرك في الدنيا، ودليلًا لِحُكم المشرك في الآخرة:

الدليل الأول: في حكم المشرك في الدنيا؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] فالشرك غير مغفور، والمراد به الشرك الأكبر؛ لأن الله تعالىٰ خصّ وعلَّق، فخص الشرك بأنه لا يغفر، وعلق ما دونه بالمشيئة.

والدليل الثاني: حكمه في الآخرة؛ أن الجنة علىٰ صاحبه حرامٌ، وهو مخلّد في النار، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المَائدة: ٧٢].

وفي حديث ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**»[١].

وإذا كان حكمه في الدنيا لا يُغفر، وفي الآخرة يُخلد في النار، والجنة عليه حرام؛ فإنه في الدنيا أيضًا تترتب عليه أحكام الدنيا.

ما يترتب علىٰ المشرك من أحكام الدنيا:

منها: أنه تطلّق زوجته منه إذا كان متزوّجًا، فيفرّق بينه وبينها إلا أن يتوب؛ لأنها مسلمة وهو كافر، والمسلمة لا تبقى في عصمة الكافر، قال الله تعالىٰ: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ﴾ [المُمتَحنَة: ١٠] أي: الكفار، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٢١].

ومن الأحكام ـ أيضًا ـ: أنه إذا مات لا يُصلَّى عليه، ولا يُغسّل.

ومنها: أنه لا يُدفن في مقابر المسلمين.

ومنها: أنه لا يدخل مكة؛ لأنه لا يجوز دخول المشرك مكة،

(١) رواه البخاري: (١٢٣٨).

قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

ومنها: أنه لا يَرِثُ ولا يُورَث، فإذا كانت زوجته مسلمة، وأولاده مسلمين فلا يرثونه، ويكون ماله لبيت مال المسلمين، إلا إذا كان له ولد كافر، فإنه يرثه؛ لقول النبي ﷺ: «**لا يَرِثُ المسلمُ الكافرَ، ولا الكافرُ المسلمَ**»[1].

إذن تترتب الأحكام إذا فعل ناقضاً من هذه النواقض واستمر عليه: فلا يُغسّل، ولا يصلَّى عليه، ولا يُدفن مع المسلمين في مقابرهم، ولا يَرِث ولا يُورَث، وتنفسخ زوجته منه، ولا يدخل مكة، وإذا مات علىٰ ذلك فذنبه غير مغفور، والجنة عليه حرام وهو من أهل النار مخلد فيها.

***

العبادة: هي كل ما جاء في الشرع من الأوامر والنواهي، فكل ما أمر به الشارع أمر إيجاب أو أمر استحباب، أو نهى عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه.

فالأمر إذا كان واجبًا فإنه يجب فعله، وإذا كان مستحبًا، فإنه يستحب فعله، والنهي إذا كان نهي تحريم يجب تركه، وإذا كان نهي تنزيه؛ فإنه يكره فعله.

أو تقول: العبادة اسم جامع لكل ما يحبُّه الله ويرضاه من

(١) رواه البخاري: (٦٧٦٤) ومسلم: (١٦١٤).

الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[١]، فكل ما جاء في الشرع من الأوامر والنواهي داخل في مسمى الإيمان، فمثلًا: الصلاة عبادة، والزكاة عبادة، والصوم عبادة، والحج عبادة، والنذر عبادة، والذبح عبادة، والدعاء عبادة، والتوكل عبادة، والرغبة عبادة، والرهبة عبادة، والجهاد في سبيل الله عبادة، والأمر بالمعروف عبادة، والنهي عن المنكر عبادة، والإحسان إلىٰ الجيران عبادة، وصِلَة الأرحام عبادة.

كذلك النواهي، يتركها المسلم تعبُّدًا لله، فيترك الشرك، والعدوان علىٰ الناس في الدماء، وفي الأموال، وفي الأعراض، وكذلك جحد الحق، ويتعبَّد بترك يفعل المنكرات، كالزنا، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والغيبة، والنميمة، والتعامل بالربا، فكل هذا عبادة.

فالعبادة: الأوامر والنواهي؛ فالأوامر تفعلها، والنواهي تتركها، تعبُّدًا لله ﷻ.

۞ أنواع الأوامر والنواهي:

الأوامر قسمان: أمر إيجاب، وأمر استحباب: أمر إيجاب كالصلاة، وأمر استحباب كالسواك.

والنواهي قسمان: نهي تحريم: كالنهي عن الزنا، ونهي تنزيه: كالنهي عن الحديث بعد صلاة العشاء.

وسواء كان العمل ظاهرًا: كالصلاة والصيام، أو باطنًا: كالنية

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

والإخلاص والصدق والمحبة.

والنهي: سواءٌ كان ظاهراً: كالزنا، أو باطناً: كالعُجب والكِبْر والرياء والغِلِّ والحقد والحسد، كل ذلك منهيٌ عنه فيتركه تعبد الله ﷻ.

فالعبادة تشمل الأوامر والنواهي، فتشمل الأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة، التي جاء بها الشرع، فإذا صرف نوعًا من هذه العبادة لغير الله وقع في الشرك.

مثّل المؤلف رحمه الله علىٰ الشرك فقال: «كالذبح لغير الله».

۞ من الشرك الذبح لغير الله:

الذبح عبادة، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] وقال سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢] فإذا ذبح لغير الله فقد صرف العبادة لغير الله، فيكون مُشركًا، ومثّل المؤلف لذلك بالذبح للجن، فإذا ذبح للجن، أو للقبر ـ أي: لصاحب القبر ـ، أو ذبح للقمر أو للنجم، أو للولي، فإنه يكون مشركًا.

۞ من الشرك دعاء غير الله:

فمن دعا غير الله، فقد أشرك، كمن طلَب المدد من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو طلب الشفاء من غير الله، أو طلب الاستجارة وتفريج الكربة من غير الله، فإنه يكون مشركاً.

۞ من الشرك الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة بغير الله:

الاستعانة بغير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، والاستعاذة بغير

الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كل ذلك شرك أكبر مخرج عن الملة.

من الشرك طاعة المخلوق في التحليل والتحريم:

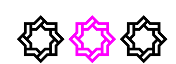
طاعة المخلوق في التحليل والتحريم شرك، وذلك كأن يطيع أميرًا، أو وزيراً، أو عالماً، أو عابداً، أو أباً أو زوجاً أو سيداً يطيعه في تحليل الحرام أو تحريم الحلال؛ فيكون مشركاً صرَف العبادة لغير الله؛ لأن الله تعالىٰ هو المحلِّل والمحرِّم، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشّورىٰ: ٢١].

ومثله الركوع؛ فإذا ركع لغير الله، أو سجد لغير الله فقد صرف العبادة لغير الله، أو طاف بغير بيت الله تقرُّبًا لذلك الغير، أو نذر لغير الله، أو حلق رأسه لغير الله كالصوفية الذي يحلق أحدهم رأسه لشيخه تعبُّداً له، وكذلك يركع له أو يسجد له، أو يتوب لغير الله، كالصوفية الذين يتوبون لشيوخهم، والشيعة الذين يتوبون ـ أيضًا ـ لرؤسائهم، والنصارى الذين يتوبون للقسيسين.

فالتوبة عبادة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥] وفي مسند الإمام أحمد من حديث الأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ أنّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِأَسِيرٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ وَلَا أَتُوبُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَرَفَ الْحَقَّ لأَهْلِهِ**»(١) فالله تعالىٰ هو أهل

(١) رواه الإمام أحمد في المسند برقم (١٥٥٨٧)، والحاكم في المستدرك: (٤/ ٢٥٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٩٩): «رواه أحمد والطبراني، وفيه محمد بن مصعب، وثقه أحمد وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وقد استدرك الذهبي علىٰ الحاكم فقال: «ابن مصعب ضعيف».

التقوى وأهل المغفرة، والله تعالىٰ هو أهل التوبة، فإذا تاب لغير الله وقع في الشرك؛ لأنه صرف العبادة لغير الله.



الناقض الثاني:
اتخاذ الوسائط بين العبد وربه

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكّل عليهم كَفَرَ إجماعًا».

الشَّرْح

من جعل بينه وبين الله واسطة كأن يدعو الميت أو صاحب القبر، يقول: يا فلان، اشفع لي عند الله، وهذا النوع وإن كان داخلًا في النوع الأول إلا أنه أخص منه.

فالشرك في عبادة الله عام كأن يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله.

أما النوع الثاني: فهو أن يجعل بينه وبين الله واسطة، يزعم أنه ينقل حوائجه إلىٰ الله، كأن يقول لصاحب القبر يسأله الشفاعة،: «يا فلان: اشفع لي عند الله»، أو: «يا رسول الله: اشفع لي»، فجعل الرسول ﷺ واسطة بينه وبين الله، فهذا شرك؛ لأنه دعا غير الله. ومن دعا غير الله فقد أشرك، تشمله النصوص التي فيها: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴿١٠٦﴾﴾ [يُونس: ١٠٦].

وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٣].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمَان: ١٣].

وقوله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧] فسماه كافرا.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ﴾، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ﴾ [فَاطِر: ١٣-١٤] فسمّاه الله شركا.

۞ حكم من جعل بينه وبين الله واسطة:

من جعل بينه وبين الله واسطة يدعوه من دون الله، أو يسأله الشفاعة، أو يتوكل عليه فإنه يكفر، بإجماع المسلمين؛ لأن هذا نوع من الشرك.

والتوكل: معناه أن يعتمد بقلبه عليه، ويفوّض أمره إليه في حصول مطلوبه.

فالناقض الأول أعمّ، وهذا أخص.

الناقض الأول: الشرك في عبادة الله؛ سواء كانت هذه العبادة دعاءً، أو ذبحاً، أو نذراً أو طاعةً في التحليل والتحريم، أو ركوعاً أو سجوداً، فهذا عامٌّ.

والناقض الثاني: خاص، وهو مَن يجعل بينه وبين الله واسطة يدعوه أو يسأله الشفاعة، أو يتوكل عليه، بمعنى: يعتمد عليه في حصول مطلوبه، فجعل الميّت واسطة بينه وبين الله، يقول: يا فلان،

اشفع لي عند الله! يا فلان، انقل حاجتي إلىٰ الله! وهكذا.

أو علىٰ الحي أيضاً، فيتوكل عليه في أن يُنَجِّيَه من النار، أو في دخول الجنة، فهو يتوكل عليه فيما لا يقدر عليه إلا الله.

فمن جعل بينه وبين الله واسطة، سواء كان حيًا أو ميتًا؛ فإنه يكون مشركًا، إنما الحي يُسأل في الشيء الذي يقدر عليه، فتقول: يا فلان، أعني في إصلاح سيارتي، يا فلان، أقرضني مالًا، يا فلان، أعِنِّي في إصلاح مزرعتي.

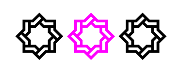
أما أن تسأل الحي في أن يغفر لك ذنبك، أو ينجيك من النار، أو تسأله في أن يرزقك، أو ينصرك علىٰ عدوك، أو لا يحرمك دخول الجنة، فهذا لا يستطيعه ولا يملكه، وهو شرك.

فإذا جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم من دون الله، أو يسألهم الشفاعة، أو يتوكل عليهم، بمعنى: أن يعتمد عليهم، ويفوّض أمره إليهم في حصول مطلوبه؛ فإنه يكفُر بإجماع المسلمين؛ ولهذا قال المؤلف: «**كفر إجماعًا**».

والأدلة علىٰ هذا هي الأدلة التي فيها أن الشرك في العبادة كفر مخرج عن الملة، يعني الأدلة التي فيها تحريم الشرك، وتحريم دعاء غير الله، وتحريم سؤال غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، هي أدلة هذا النوع أو هذا الناقض من نواقض الإسلام، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يُونس: ١٠٦] أي: المشركين.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجنّ: ١٨] وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجنّ: ٢٠].

فمن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، أو يسألهم الشفاعة، أو يتوكل عليهم، بمعنى: يفوض أمره إليهم في حصول المطلوب ودفع المرهوب، فقد أشرك؛ لأنه صرف العبادة لغير الله ﷻ.



الناقض الثالث:

عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم أو تصحيح مذهبهم

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الثالث: مَن لم يُكَفِّر المشركين، أو شكّ في كفرهم، أو صحح مذهبهم كَفَرَ».

الشَّرْحُ

مَن لم يُكَفِّرْ المشركين أو شكَّ في كفرهم أو صحَّح مذهبهم كفر بالإجماع.

و«المشرك» شامل لجميع الكفَرَة: من يهود، ونصارى، ووثنيين وشيوعيين، وملاحدة؛ فكلهم مشركون، يجمعهم شيء واحد وهو الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

فاليهود مشركون؛ لأنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وهذا شرك، والنصارى مشركون؛ لأنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ولأنهم يعبدون عيسى، والوثنيون مشركون، والمجوس مشركون، والمنافقون مشركون. فمن لم يُكفِّر المشركين فهو كافر.

قوله: «أو شكّ في كفرهم»؛ مَن شك في كفر الكافر، كمَن شك في أن اليهود كفار، أو شك في أن النصارى كفار، أو في أن الوثنيين كفار فهو كافر بهذا الشك.

حكم من قال: من أحب أن يتدين بأي دين فله ذلك:

قال المؤلف رحمه الله: «أو صحَّح مذهبهم»؛ كمَن قال: إن اليهود علىٰ دين صحيح، أو النصارى علىٰ دين صحيح، أو لو قال شخص لما سئل عن اليهود والنصارى؟: أنا لا أقول فيهم شيئًا، اليهود علىٰ دين، والنصارى علىٰ دين، والمسلمون علىٰ دين، مَن أحبّ أن يتديّن بالإسلام أو باليهودية أو بالنصرانية فله ذلك، فهذا شرك ويكون كافراً بالإجماع؛ لأنه صحّح مذهب المشركين، ولم يكفِّرهم.

إذا شكّ المرء فقال: لا أدري هل هم كفار أو ليسوا كفارًا؟

من: اليهود نزل عليهم كتاب التوراة، والنصارى نزل عليهم الإنجيل، والمسلمون نزل عليهم القرآن، ولا أدري هل هم كفار أم ليسوا بكفار؟ فهذا يكفر إذا شك، فلابد أن يجزم بكفر اليهود والنصارى والوثنيين.

والدليل علىٰ هذا: قول الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] فمن لم يكَفِّر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم؛ فإنه لم يكْفُر بالطاغوت، وليس هناك إيمان إلا بشيئين لابد منهما، **فلا يحصل التوحيد إلا بأمرين:**

الأمر الأول: الكفر بالطاغوت.

والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبودٍ، أو متبوع، أو مطاع[(١)]؛ فكل ما خالف الشرع فهو طاغوت، وسُمِّيَ طاغوتاً (من الطغيان): وهو مجاوزة الحد[(٢)].

---

(١) إعلام الموقعين (١/٥٣).

(٢) انظر: لسان العرب (١٥/٧).

ومعنى (الكفر بالطاغوت) هو أن تتبرأ من عبادة غير الله وتنفيها وتنكرها وتبغضها وتعاديها وتعادي أهلها، فالكفر بالطاغوت؛ البراءة من كل معبود سوى الله، وإنكار كل عبادة لغير الله، ونفيها وبغضها وبغض أهلها ومعاداتهم، هذا هو الكفر بالطاغوت بمعنى أن تتبرأ من كل شرك، ومن كل دين غير دين الإسلام، وتنكره وتنفيه، وتبغضه وتعاديه، وتعادي أهله، هذا الأمر الأول.

الأمر الثاني: الإيمان بالله.

فإذا فعلت الأمرين فأنت موحِّد، تكفُر بالطاغوت وتؤمِن بالله، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فإن معناها: لا معبودَ حقٌّ إلا الله، هذه كلمة التوحيد، وهي كلمة التقوى التي تَقِي قائلها من الشرك، وهي الكلمة التي من أجلها بعثَ الله الرسل، وانقسم الناس إلىٰ شقيٍّ وسعيدٍ، ومن أجلها قام سوق الجهاد، ومن أجلها قامت القيامة، وحقّت الحاقّة، ووقعت الواقعة، ومن أجلها خُلقت الجنة والنار.

معنى كلمة التوحيد:

«لا إله إلا الله» معناها: لا معبود حق إلا الله، وكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» تقتضي كفرًا وإيمانًا:

«**لا إله**»: هذا الكُفر بالطاغوت ونفي العبادة عما سوى الله.

«**إلا الله**»: هذا الإيمان بالله.

«**لا إله**»: تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وهذا هو الكفر بالطاغوت.

و«**إلا اللهُ**»: تثبت العبادة بجميع أنواعها لله ﷻ وهذا هو الإيمان بالله.

فمن لم يُكفّر المشركين لم يَكفُر بالطاغوت، بمعنى أنه أقرّ الشرك، ومن شكّ في كفر اليهود والنّصارى، أو صحّح مذهبهم لم يكفُر بالطاغوت، فلا يكون مؤمناً، والدّليلُ علىٰ كفر من لم يكفّر المشركين أو شكّ في كفرهم أو صحّح مذهبهم؛ كلمةُ التوحيد «لا إله إلا الله»؛ لأنه لم يكفُر بالطاغوت، وكذلك قول الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

حكم من قال: الله هو المعبود وأنا أوحده وأعبده:

ليس هناك توحيد ولا إيمان إلا بشيئين: كفر بالطاغوت، وإيمان بالله؛ ولهذا كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فيها نفي وإثبات، فلو قال إنسان: الله هو المعبود، وأنا أُوَحِّد الله وأعبدُ الله، لا يكون مؤمناً.

ونقول: هذا ليس بتوحيد، ولا يكفي كونك تعبد الله، بل لا بد أن تنكر عبادة كل معبود سوى الله، أي: لا بد أن تأتي بالنفي والإثبات.

و«**لا إله إلا الله**» معناها: لا معبود حق إلا الله، فلو قال شخص: أنا أعبد الله فقط، فهل أنا موحِّد؟ نقول له: لا، لا يكفي كونك تعبد الله، بل لا بد أن تعبد الله ومع ذلك تنفي العبادة عن غير الله، وهذا هو الكفر بالطاغوت، وهو لا يحصل إلا بالنفي والإثبات «لا إله إلا الله».

فالدليل علىٰ هذا الناقض: قول الله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

❁ **وكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فيها تَخْلية وتَحْلية:**

معنى التخلية: هو أن تنفي العبادة عن غير الله، فإذا نفيت وأنكرت عبادة كل معبود سوى الله. بعد ذلك تأتي التحلية.

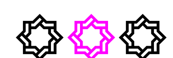
ومعنى التحلية: إثبات العبادة لله ﷻ

«**لا إله**»: هذه التخلية: نفيتَ العبادة عن غير الله.

«**إلا الله**» تحلية، أثبتّ العبادة لله وحده.

«**لا إله**»: هذا هو الكفر بالطاغوت.

«**إلا الله**»: هذا هو الإيمان بالله.



الناقض الرابع:
اعتقاد أن غير هدْيِ النبي ﷺ أكمل من هَدْيه أو حكم غيره أحسن من حكمه

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الرابع: مَن اعتقد أن غير هدْي النبي ﷺ أكملُ مِن هديه، أو أن حُكْمَ غيرِه أحسنُ من حكمه، كالذي يفضِّل حكم الطواغيت علىٰ حكمه فهو كافِرٌ».

الشَّرْحُ

الرابع من نواقض الإسلام: من اعتقد أن هدْي غير النبي ﷺ أكمل من هَدْيه، أو أن حُكمه أحسن من حكمه كَفَرَ إجماعًا، كالذين يفضلون حُكم الطواغيت علىٰ حكم الله ورسوله.

ودليل ذلك: أنه لم يشهد أن محمدًا رسول الله؛ لأن شهادة «أن محمدًا رسول الله» تقتضي تصديقه في أخباره، والعمل بشرعه والتحاكم إلىٰ شريعته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأن تتعبد لله بشريعته.

ومن اعتقد أن هناك هديًا أكمل من هدي النبي ﷺ أو أن حُكمًا أحسن من حكمه، أو أن هناك حكمًا مماثلًا لحُكم النبي ﷺ؛ فإنه لم يشهد «أن محمدًا رسول الله»، وشهادته: «أن محمدًا رسول الله» باطلة.

وكذا لو اعتقد أن هدي النبي ﷺ أكمل، وأن حكمه أكمل،

لكن قال: يجوز أن تهتدي بغير هدي الرسول، ويجوز أن تتحاكم إلىٰ غير حكم الرسول؛ فإنه يكون كافراً؛ لأنه استحل أمراً معلومًا من الدين بالضرورة تحريمه.

حكم العمل بالقوانين:

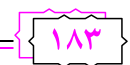
لا يجوز الحكم بالقوانين ولو كنت تعتقد أن حكم الشريعة أحسن؛ لأنك في هذه الحالة استحللت أمراً محرماً معلوماً من الدين بالضرورة، مثله مثل من يقول: الزنا حلال، ولكني لا أزني، أو قال: الربا حلال، لكني لا أتعامل بالربا، فهذا يكفر؛ لأن الربا حرام، وكونك تستحله وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة حرمته، فهذا كفر.

وكذلك إذا قال: الحكم بالقوانين جائز، ولكن الحكم بالشريعة أحسن، نقول: لا، كونك تُجيز الحكم بالقوانين، هذا كفر ورِدَّة؛ لأنك استحللت أمرًا محرمًا معلومًا من الدين بالضرورة، فالحكم بالقوانين حرام بالإجماع، مثل كون الزنا حرام بالإجماع، ومثل كون الربا حرام بالإجماع.

من اعتقد جواز الحكم بغير حكم الله ورسوله:

من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير حكم الله ورسوله، سواء اعتقد أن حكم الله أحسن أو أقل أو مماثل، فإنه يكون كافراً؛ لأنه استحل أمراً معلوماً من الدين بالضرورة تحريمه.

والدليل: أنه لم يشهد: «أن محمدًا رسول الله»، ومن لم يشهد: «أن محمدًا رسول الله»، فإنه كافر؛ لأن شهادة: «أن محمدًا رسول الله» تقتضي التحاكم إلىٰ شريعته، واعتقاد أنه لا يجوز التحاكم إلىٰ غير شريعته، واعتقاد أنه لا يجوز الاهتداء بغير هديه ـ عليه الصلاة والسلام ـ.



الناقض الخامس:
بغضُ شيء مما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ولو أنه عمل به

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«الخامس: مَن أبْغَضَ شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عَمِل به كَفَرَ».

الشَّرْح

الخامس من النواقض: أن مَن أبْغَضَ شيئا مما جاء به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولو عمل به كفَرَ.

فإن الرسول ﷺ جاء بشرعية الصلاة، فمن أبغَض الصلاة كَفر، وجاء ﷺ بشرعية الزكاة وهكذا، فمن أبغض شيئًا جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر.

حكم من أبغض تعدد الزوجات:

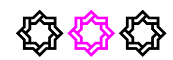
لقد جاء الرسول ﷺ بشرعية تعدُّد الزوجات، فمن أبغضَ هذا الحكم الشرعي الذي هو تعدُّد الزوجات فقد كَفَر.

لهذا فإنه ينبغي أن يُفَهّم النساء بأن لا يَكْرَهن تعدد الزوجات؛ لأن هذا حكم الله ورسوله، لكن إن كان عندها كراهة لهذا الشيء، أي: أنها لا تحب ذلك ويكون كرهها كراهة طبيعية، وهي لا تكره

الحكم الشرعي، فلا يضرها ذلك، أو كون بعض الرجال لا يعْدِل فهي تكره أن يُعدد هذا الرجل؛ لأنها تخشى ألا يعدل، فهذا لا بأس.

أما أن تكره الحكم الشرعي، وهو التعدد، فهذا يكون رِدَّة والعياذ بالله، إذا كرهته كراهة بُغض لما جاء به الرسول ﷺ، والدليل علىٰ هذا قول الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمَّد: ٩] فمن كره شيئًا مما أنزله الله، أو مما شرعه الله ورسوله، أو أبغضه؛ فإنه يكون كافراً.

فالحاصل: أن من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو مما جاء عن الله تعالىٰ في كتابه أو كره ذلك، أو أبغض الله ﷻ أو أبغض رسوله ﷺ؛ فإنه يكون كافرًا مرتدًّا؛ ولأن هذا البغض ينافي الإيمان؛ ولأن محبة الله ورسوله لابد منها لأنها أصل الإيمان، فمن لم يحب الله ورسوله فهو كافر، ومن أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ أو كره شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ؛ فإنه يقتضي عدم محبة الله ورسوله، وهذا كفر ورِدَّة ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.





الناقض السادس:
الاستهزاء بالدين

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«السادس: مَن استهزأ بشيء مِن دين الرسول ﷺ أو ثواب الله، أو عقابه، كَفَرَ والدليل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]».



من استهزأ بشيء من دين الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو بثوابه أو بعقابه فإنه يكفر.

حكم من استهزأ بالصلاة أو بالمصلين ونحو ذلك:

فإذا استهزأ بالصلاة كفَر، أو استهزأ بالزكاة كفَر، أو استهزأ بالصوم كفر، أو استهزأ بالمصلين؛ كأن يسخر بالصلاة التي يصليها المسلم كفر، أو يستهزئ باللحية، كراهة لما جاء به الإسلام من الأمر بإعفاء اللحية، فإنه يكفر؛ لأن الله شرعها علىٰ لسان رسوله ﷺ، وشرع إعفاءها، أما إذا سخر من الشخص لذاته أو لشخصه فلا يكفر.

۞ حكم من استهزأ بالجنة والنار وعموم ثواب الأعمال:

وكذلك إذا استهزأ بالجنة أو بالنار، فالجنة ثواب للمؤمنين والنار عقاب للكافرين، فإذا استهزأ وسخر، وقال: ما الجنة؟ وما النار؟ مستهزئًا فإنه يكفُر والعياذ بالله.

ومن استهزأ بثواب الأعمال الصالحة؛ كمن سَمِع أو قرأ مثلًا حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»[(١)] فاستهزأ بهذا الثَّواب وسَخِر به لا أنه لم يصح عنده فإنه يكفر.

فإذا استهزأ بشيء من دين الرسول عليه الصلاة والسلام أو استهزأ بالثواب الذي أعدَّه الله للمطيع، أو أعدَّه الله علىٰ العمل الصالح، أو العقوبة التي أعدها الله للعاصي، أو للكافر؛ فإنه يكفر، والدليلُ قولُ الله تعالىٰ في سورة التوبة: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] فأَثْبَتَ لهم الكفر بعد الإيمان.

وهذه الآية نزلت في جماعة من المنافقين في غزوة تبوك استهزءوا بالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه القرّاء، قال بعضهم لبعض: كما ثبت في الحديث: (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرْغَبَ بطوناً، ولا أكذبَ ألسناً، ولا أجْبَنَ عند اللقاء!).

والمعنى: ما رأينا مثلهم في كثرة الأكل، وكذب الحديث، والجُبن عند قتال الأعداء، يعنون الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه القراء، فسمعها عوف بن مالك رضي الله عنه منهم وهم يتحدثون،

(١) رواه البخاري (٦٤٠٥) ومسلم (٢٦٩١).

فقال للقائل: كذبتَ ولكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ.

فجاء إلىٰ النبي ﷺ ليخبره، فلما جاء إليه، وجد الوحي قد سبقه، وأنزل الله: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وجاء هذا الرجل الذي تكلم بهذا الكلام يعتذر للنبي ﷺ ويقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، أي: ليس لي قصد، إنما تكلمت بكلام نقطع به عناء الطريق. مثلما يقول بعضنا: حكايات نقطع بها عنا الطريق، والنبي ﷺ لا يزيد سوى أن يتلو عليه هذه الآية: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

والرجل متعلق بِنِسْعَة ناقة رسول الله ﷺ ـ وهو الحبل الذي في بطن البعير ـ، ورجلاه تخط بالأرض، والحجارة تنكب رجليه ـ بمعنى: تضرب رجليه ـ وهو يبالغ في الاعتذار ورسول الله ﷺ لا يزيد سوى أن يقرأ عليه الآية، فأثبت الله لهم الكفر بعد الإيمان بقوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦][(١)].

فإذا كان هؤلاء سخروا بالرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم ـ أي: سخروا بأشخاص ـ، وقالوا عنهم: إنهم يأكلون كثيراً، ويكذبون في الحديث، ويجبُنون عند اللقاء، فكيف بمن سخر بدين الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ كمن يسخر بالصلاة، أو بالزكاة، أو بالصوم، أو بالجنة، أو بالنار، أو بالبعث، أو بالجزاء، أو بالصراط، أو بالميزان، فمن استهزأ بشيء من ذلك فإنه يكفُر.

(١) القصة رواها ابن جرير في تفسيره (١١/ ٥٤٣ وما بعدها)، وابن أبي حاتم في التفسير (٦/ ١٨٢٩)، والواحدي في أسباب النزول (٢٨٧-٢٨٩)



الناقض السابع:
السحر

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«**السابع: السحر، ومنه الصَّرف والعَطف، فمن فعله أو رضي به كَفَر، والدليل قوله تعالىٰ:** ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]».

الشَّرْح

السحر في اللغة: عبارة عما خفِي ولطُف سببه[(١)].

وفي الشرع: هو عبارة عن عزائم ورُقى وعُقَد، وأدوية وتدخينات تؤثر في القلوب والأبدان فتمرض وتقتل وتفرق بين المرء وزوجه.

سبب تسمية السحر سحرًا:

سُمِّيَ السِّحر سِحرًا؛ لأن الساحر يؤثر في الخفاء، فيقوم بعمل عزائم أو رُقَى أو عقد يكون تأثيرها في الخفاء في القلوب والأبدان، وقد تؤثر بالمرض من تغيير العقل ونحوه، وقد تؤثر بالقتل، وقد تؤثر بالتفريق بين الزوج وزوجه.

(١) القاموس المحيط (٥١٩)، تهذيب اللغة (٤/ ٢٩).

۞ اتصال الساحر بالشياطين:

الساحر الذي يتصل بالشياطين لابد أن يقع في الشرك، فهو نوع من الشرك؛ لأن الساحر الذي يتصل بالشيطان تكون بينهما خدمة متبادلة، وهناك عقد، يعقده الجني مع الساحر، يَكفُر بمقتضى هذا العقد، بأن يتقرب إليه بالشركيات التي يريدها: كأن يطلب منه أن يذبح له أو أن يلطخ المصحف بالنجاسة، أو يبول عليه أو يتقرب إلىٰ الجن بغير ذلك من الشركيات.

فإذا فعل الساحرُ الشركَ خَدَمَه الجنيُّ بأن يستجيب لمطالبه، فإذا أمره أن يلطم شخصًا لطمه، أو يقتل شخصا قتله. أو يأتي له بشيءٍ من الأخبار وغيرها فعل.

۞ حكم السحر:

السحر شركٌ، فمَن فَعَلَ السحر: بأن تعلَّمه، أو علَّمه، أو فعله، أو رضي به، كفر؛ لأن الراضي كالفاعل، ومن رضي بالشرك فهو مشرك، والدليل قول الله تعالىٰ في قصة الملَكين اللذَين أُنزِلا إلىٰ الأرض وفُتِنَا: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]، فإذا جاءهما أحد يطلب أن يعلِّمَاه السحر نصحاه ونَهَيَاه أشد النهي، وقالا له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فإذا أَصَرَّ عَلَّمَاه. ولقول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢] فكفروا بتعليم الناس السِّحر.

فالسحر كفر ورِدّة، ومن فعل السحر أو رضي به فهو كافر.

۞ تعريف الصرف:

الصَرْف: معناه صرْف المرأة عن زوجها، والزوج عن امرأته، بأن يُعمل لهم سحرًا بحيث إن الرجل إذا جاء إلىٰ امرأته رآها في صورة قبيحة، فينفر منها، ولا يريد أن يقربها. أو يُعمل لها ما يُكَرِّهها في زوجها، فإذا رأت زوجها رأته في صورة قبيحة، بحيث لا تطيق النظر إليه، فيحصل الفراق بينهما، وهذا هو الصرف: أي: صرفها عنه، وصرفه عنها، مع أن الأصل أنه ليس فيها شيء، وليس فيه شيء، لكن الساحر لما عمل لهما سحراً، بحيث أنه يجعل المرأة أمام زوجها في صورة قبيحة، لا يطيق النظر إليها، أو يجعل الزوج في صورة قبيحة إذا رأته الزوجة لا تطيق النظر إليه، فبسبب ذلك يحصل الفراق.

۞ تعريف العطف:

العطف بعكس الصرف وهو أن يحبِّب المرأة للرجل، بأن يُعمل للرجل سحر يجعله يميل إلىٰ المرأة، ويحسِّنها في نظره ولو كانت قبيحة، أو دميمة الخِلقة، فتكون في نظره من أحسن الناس وأجمل الناس، وكذلك ـ أيضًا ـ إذا سُحرت المرأة فيجعلها السحر تنظر إلىٰ الرجل أنه أحسن الناس، وأجمل الناس وإن كان كريهاً، أو دميم الخلقة.

فهذا عطف: عطَفَها عليه، وعطفه عليها، وهذا كله من السحر.

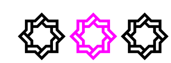
۞ تعريف التِّوَلَة:

من طرق السحر: التِّوَلَة: وهو شيء أو دواء يصنعه السحرة، ويعطونه للزوج أو للزوجة يزعمون أنه يحبب المرأة إلىٰ زوجها،

والرجل إلىٰ امرأته.

فمن فعل السحر، أو رضيه؛ فإنه يكون كافراً بنص القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢] وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢].

ولكن السحرة لا يضرون أحداً إلا إذا قَدَّرَ اللهُ ﷻ ذلك الضرر علىٰ الإنسان فيحصل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢] يعني: إلا بإذن الله الكوني القدري.



الناقض الثامن:
مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الثامن: مُظاهرة المشركين ومعاونتهم علىٰ المسلمين، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المَائدة: ٥١]».

الشَّرْح

المُظاهرة والمُعاونة بمعنى واحد، فمظاهرة المشركين ومعاونتهم علىٰ المسلمين بمعني: مساعدة المشركين علىٰ المسلمين، كأن يكون هناك قتال بين المسلمين والكفار، فيساعد ويعاون الكفار في قتالهم ضد المسلمين ويساعدهم بأي: شيء: سواء مدّهم بالمال أو بالسلاح أو خطط لهم بالرأي، فإذا ساعد الكفار علىٰ المسلمين حتى يدبر المكائد لهم؛ فإنه يكون كافرًا؛ لأنه فضّل المشركين علىٰ المسلمين، وهذا التفضيل، أي: تفضيل المشركين يستلزم أنه يبغض الإسلام ويبغض الله ورسوله، ومن أبغض الله ﷻ أو أبغض رسوله أو أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ، فإنه يكون كافرًا، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمَّد: ٩] ومن لم يحب الله ورسوله فإنه كافر.

وأصل المحبة لابد منها، لكن الكمال كون الإنسان يقدم محبة الله ﷻ ومحبة رسوله محمد ﷺ علىٰ الأهل والأولاد والمال، فإذا قدم محبة شيء من المال أو الأهل أو غيره علىٰ محبة الله ورسوله فإنه يكون عاصياً ناقص الإيمان.

لكن إذا لم يحب الله ورسوله؛ فإنه يكون كافراً، والذي يظاهر ويعاون المشركين علىٰ المسلمين، فهو لا يحب الله ورسوله، مبغض وكاره لهما وَلِما أنزل الله فيدخل في قوله تعالىٰ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩﴾ [محَمَّد: ٩].

۞ الدليل علىٰ أن مظاهرة المشركين كفر:

والدليل الخاص علىٰ أن المظاهرةَ كُفرٌ هذه الآيةُ الكريمة من سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المَائدة: ٥١] والتوَلِّي: محبة المشركين، وهو كفر ورِدّة، وينشأ عن هذه المحبة مساعدتهم علىٰ المسلمين. فمن ظاهر المشركين علىٰ المسلمين فإن هذا دليل علىٰ أنه تولى المشركين، وتوليهم ردة.

۞ الفرق بين التولي والموالاة:

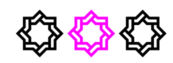
هناك فرق بين تولي الكفار وبين موالاتهم: فتولي الكفرة ردةٌ، أما الموالاة، بمعنى: محبتهم ومعاشرتهم ومصادقتهم فهذا كبيرة.

وأصل التولِّي: المحبة في القلب، ثم ينشأ عنها المساعدة والمعاونة، فكونه يساعد المشركين علىٰ المسلمين بالمال أو بالسلاح أو بالرأي، فهذا دليل علىٰ أنه تولى المشركين وأحبهم.

حكم تولي المشركين ومحبتهم:

تولي المشركين ومحبتهم ردة وكفر بنص القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: لا تتولوهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي: الكفار بعضهم أولياء بعض، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم﴾ يعني: الكفرة ﴿مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ أي: من يتولى الكفرة منكم ـ أيها المسلمون ـ فإنه منهم، كافر مثلهم، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المَائدة: ٥١].

فالمقصود؛ أن معاونةَ ومساعدةَ ومظاهرةَ المشركين علىٰ المسلمين ردةٌ؛ لأن هذا من التولي للكفرة، وتولي الكفرة ردة عن الإسلام بنص القرآن.



الناقض التاسع:

من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وَسِع الخَضِر الخروج عن شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو كافر».

الشَّرح

من اعتقد أن أحدًا يسعُه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخَضِر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، فهو كافر، ودليل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عِمران: ٨٥].

وذلك أن شريعة محمد ﷺ عامة لجميع الثَّقَلَيْن: الجن والإنس، والعرب والعجم.

ولأن شريعة نبينا محمد ﷺ هي الشريعة الخاتمة، وهي الناسخة لجميع الشرائع، قال الله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفُرقان: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النِّسَاء: ٧٩] وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ

جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال النَّبيّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي**»، وذكر منها: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**»[٢].

فمن اعتقد أن أحدًا يجوز له أن يخرج علىٰ شريعة محمد ﷺ، ويتعبّد لله بشريعة أخرى، فهو كافر، لأن شريعة محمد ﷺ شريعة عامة، للجن والإنس وللعرب والعجم؛ ولأنها ناسخة لجميع الشرائع؛ ولأنه بعد بعثة النبي ﷺ صارت رسالته عامة لجميع من يوجد إلىٰ يوم القيامة، بخلاف شريعة موسى عليه السلام، فشريعتة التي جاء بها ليست عامة، بل هي خاصة ببني إسرائيل.

ولهذا وَسِع الخَضِر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام.

والخَضِر علىٰ الصحيح أنه نبي يوحى إليه؛ ولهذا جاء موسى ليتعلم منه، كما قص الله علينا ذلك في سورة الكهف.

وكما ثبت في الصحيح عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ. فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ فَقِيلَ لَهُ احْمِلْ

---

(١) رواه مسلم: (١٥٣).

(٢) رواه البخاري: (٣٣٥) و(٤٣٨) ومسلم: (٥٢١).

حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهْوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَحَمَلَا حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا فَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمِهِمَا فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ، قَالَ مُوسَى ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ ـ أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ ـ فَسَلَّمَ مُوسَى. فَقَالَ الخَضِر وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ فَقَالَ أَنَا مُوسَى. فَقَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ. قَالَ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لَا أَعْلَمُهُ. قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا، وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الخَضِر، فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الخَضِر يَا مُوسَى، مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ، فَعَمَدَ الخَضِر إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ. فَقَالَ مُوسَى قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟! قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟! قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ. فَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا. فَانْطَلَقَا فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الخَضِر بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ. فَقَالَ مُوسَى أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ؟! قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟!.

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: وَهَذَا أَوْكَدُ. فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ. قَالَ الخَضِر بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ. فَقَالَ لَهُ مُوسَى لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا. قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ». قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا**»[(١)].

سبب عدم التزام الخضر بشريعة نبي الله موسى:

الخَضِر لم يلتزم بشريعة موسى عليه السلام؛ لأنه ليس من بني إسرائيل، فخرج عن شريعة موسى.

حكم من جوز الخروج عن شريعة محمد ﷺ:

فمن زعم أنه يجوز له الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما جاز للخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر، لأمرين:

الأمر الأول: أن شريعة محمد ﷺ عامة، وشريعة موسى عليه السلام خاصة. فلذلك الخَضِر ليس ملزمًا بشريعة موسى عليه السلام، أما نحن فملزمون بشريعة محمد ﷺ.

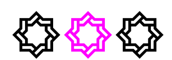
الأمر الثاني: أن الخَضِر نبي يُوحَى إليه علىٰ الصحيح، فهو علىٰ شريعة، وموسى علىٰ شريعة، فمن اعتقد أنه يجوز له أو لغيره ألا يلتزم بشريعة محمد ﷺ وأن يتعبد لله من طريق غير الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن شريعة النبي ﷺ عامة للثقلَيْن الجن والإنس؛ ولأنه لم يشهد: «أن محمدًا رسول الله».

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٢)، وأخرجه في مواطن أخرى مختصرا ومطولا: (٧٤) و(٧٨) و(٢٢٦٧) و(٢٧٢٨) و(٣٢٧٨) و(٣٤٠٠) و(٣٤٠١) و(٤٧٢٥) و(٤٧٢٧) و(٦٦٧٢) و(٧٤٧٨)، ورواه مسلم(٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

حكم من قال إن شريعة محمد ﷺ خاصة:

فمن قال: إن شريعة محمد خاصة، أو النبوة خاصة بالعرب، أو أن بعده نبياً؛ فإنه لم يشهد: «أن محمدًا رسول الله»، وحينئذ يكون كافراً؛ ولهذا قال النبي ﷺ «**وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ وَلَا نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١).



(١) تقدم تخريجه.



الناقض العاشر:
الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«العاشر: الإعراض عن دين الله تعالىٰ لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السَّجدَة: ٢٢]».

الشَّرْحُ

من أعرَض عن دين الله ﷻ، لا يتعلم دين الله ولا يعبد الله فهو كافر؛ لأنه في هذه الحالة يكون عابداً للشيطان.

حكم الملحد:

الذي يقول عنه بعض الناس: ملحد، أو متحلل من الدين، لا يتعلمه، ولا يعمل به، ولا يعبد الله، هذا يعبد الشيطان؛ لأن الشيطان هو الذي أمره بذلك، فهذا عابد للشيطان، إذ ليس هناك أحد في الدنيا إلا وله معبود، فالوثني له معبود، واليهودي له معبود، والنصراني له معبود، والمسلم يعبد الله، وغير المسلم يعبد الشيطان فمن لم يعبد الله عبد الشيطان.

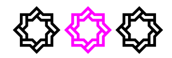
فهذا الذي يزعم أنه لا يتعلم الدين ولا يعبد الله أطاع الشيطان وعبد الشيطان، فهو الذي أمره بذلك فصار عابداً له، فمن أعرض

عن دين الله، لا يتعلم دين الله، ولا يعبد الله مطلقاً، لا يعبده بالدعاء، ولا بالصلاة، ولا بالحب، ولا بالقول، ولا بالإيمان، ولا بالاعتقاد من أن الله هو الخالق الرازق المدبر، وأنه المعبود بحق، فلا يتعلم الدين ولا يعبد الله، فهذا كافر بإعراضه، ونفس الإعراض كُفرٌ.

الأدلة علىٰ كفر المعرض عن كتاب الله:

من الأدلة علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السَّجدَة: ٢٢] وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ﴾ [الكهف: ٥٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣].

فالكفار يعرِضون عما أُنْذِروا من الإيمان بالله ورسوله والعمل بهذا الدين، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السَّجدَة: ٢٢].



الفرق بين الهازل والجاد والخائف والمكره

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المُكْرَه، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، ومِن أكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها علىٰ نفسه ـ نعوذ بالله ـ من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلى الله علىٰ خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم».

الشَّرْح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن هذه النواقض: لا فرق فيها بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، فهنا عدة حالات:

من فعل ناقضًا وهو هازل:

من فعل ناقضا من نواقض الإسلام هازلاً، كشخص استهزأ بالصلاة، أو استهزأ بالدين علىٰ سبيل المزاح والسخرية، فإنه يكفر.

من فعل ناقضاً وهو جادّ:

من فعل ناقضاً من نواقض الإسلام وهو جادّ جازم بذلك، كمن سخر بالدين جازماً، فإنه يكفُر.

۞ من فعل ناقضًا وهو خائف علىٰ نفسه:

من فعل ناقضاً من نواقض الإسلام خائفًا علىٰ نفسه، أو خائفًا علىٰ ماله، أو علىٰ ولده، فإنه يكفر ولو كان خائفًا، كمن سبّ الإسلام، أو سب دين الإسلام عند شخص حتى يبقى ماله ولا يؤخذ؛ لأنه يخشى أنه لو لم يسبّ الإسلام أخذ ماله، فيخشى علىٰ ماله، أو علىٰ نفسه أو علىٰ ولده، فإنه يكفر.

۞ من فعل ناقضًا وهو مكره إلا أن قلبه مطمئن بالكفر:

إذا كان مُكْرهًا واطمئن قلبه بالكفر فإنه يكفر، كإنسان وضع السيف علىٰ رقبته وقيل: تكفر وإلا قتلناك، أما إذا تكلم بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، فإنه لا يكفُر.

۞ فتلخص من ذلك خمس حالات:

الحالة الأولى: من فعل الكفر، أو ناقضًا من نواقض الإسلام: مازحًا أو هازلًا فإنه يكفر.

الحالة الثانية: من فعل الكفر، أو ناقضًا من نواقض الإسلام جادًّا، فإنه يكفُر.

الحالة الثالثة: من فعل الكفر، أو ناقضًا من نواقض الإسلام خائفًا، فإنه يكفُر.

الحالة الرابعة: من فعل الكفر مكرهًا، واطمئن قلبه بالكفر، بمعنى أنه لمّا أُكره جزم علىٰ الكفر، فإنه يكفُر.

الحالة الخامسة: من فعل الكفر مكرهًا، واطمئن قلبه بالإيمان، فإنه لا يكفُر.

فتكون خمس حالات، أربع منها يكفُر صاحبها، والخامسة لا يكفُر.

والدليل علىٰ أنه إن كان خائفًا علىٰ نفسه أو أهله أو ماله، فتكلم بكلمة الكفر حتى يبقى ماله، أن ذلك كفر، قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النّحل: ١٠٦].

حكم من فعل ناقضًا وهو مكره وقلبه مطمئن بالإيمان:

استثنى الرب ﷻ حالةً واحدةً، وهي المُكره، بشرط أن يكون قلبه مطمئنًا بالإيمان ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النّحل: ١٠٦] ثم قال الله سبحانه: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النّحل: ١٠٦-١٠٧].

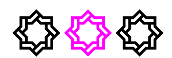
فالذي يكفر لأجل المال، أو خوفًا علىٰ ماله أو أهله، فاستحب الدنيا وقدمها علىٰ الآخرة، وقدم الدنيا علىٰ دينه فهو المقصود لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النّحل: ١٠٧].

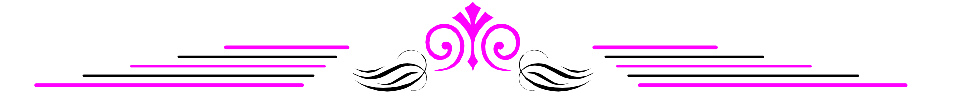
وكذلك إذا فعل الكفر هازلًا، أو جادًا، وكذلك أو مكرهًا واطمئن قلبه بالكفر، ولا يستثنى إلا المكره إذا اطمئن قلبه بالإيمان.

والإكراه ليس معناه التهديد، وإنما معناه: أنه يكون إكراهًا ملزمًا بأن يوضع السيف علىٰ رقبته، أو يهدد من شخص قاتل، ويعلم أنه ينفذ وعده بأنه إن لم يكفر فإنه يقتله في الحال، فهذا

يكون مكرهًا.

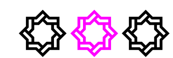
فإذا اطمئن قلبه بالإيمان فلا يضره كونه يتكلم بكلمة الكفر، أو يفعل الكفر، أما مجرد الخوف فقط علىٰ نفسه أو أهله أو ماله، فهذا لا يبيح له الكفر.





الخاتمة

نسأل الله ﷻ السلامة والعافية، وأن يعيذنا من الكفر والشرك والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق، وأن يثبتنا علىٰ دينه، وأن يعيذنا من مضلات الفتن، وأن يتوفانا علىٰ الإسلام، غير مغيِّرين ولا مبدلين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم علىٰ عبدالله ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين.




شرح
رسالة الإمام
محمد بن عبد الوهاب
لأهل القصيم
في بيان عقيدته

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وأشهد أن سيدنا ونبينا وقدوتنا وإمامنا محمد بن عبدالله سيد الأنبياء وخاتم المرسلين صلى الله وبارك عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فهذه العقيدة للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ قدس الله روحه، ورفع منزلته، وجمعنا به وبالنبيين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه ـ كتبها رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأهل القصيم لما طلبوا منه أن يكتب عقيدته، وهو مشتغل البال، فكتب عقيدة مختصرة، هي عقيدة أهل السنة والجماعة، حيث ذكر الأصول الستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، فهذا هو الإيمان الكامل.

وشرْحنا لهذه الرسالة شرح فيه تفصيل وحصر للمقصود، وتقريب للفائدة.

أسأل الله ﷻ أن يصلح قلوبنا وأعمالنا ونياتنا وذرياتنا، كما أسأله أن يرزقنا جميعًا الإخلاص في العمل والصدق في القول، وصلى الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

✍ **كتبه**

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره».

الشَّرْحُ

شيخ الإسلام العالم الرباني محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ لا شك أنه أهل لهذا اللقب؛ فقد رزقه الله العلم الرباني، فقد علم الناس صغار العلم ثم علم كباره، وقد قيل: «**الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ**»[(١)]، وهو رحمه الله إمام مجدد جدد الدعوة الإسلامية، جددها بعد أن درست معالمها، وانتشرت البدع، والخرافات، والشرك، فأعاد الناس إلىٰ شريعة نبينا محمد ﷺ، وإلىٰ التوحيد، والملة الحنيفية ملة الإسلام، فهو الداعي عن الشرك إلىٰ التوحيد، والحنيفية من: الحنف والميل؛ لكونها مائلة عن الشرك والبدع، قائمة علىٰ التوحيد.

ويقال لها أيضا: الملة العوجاء؛ لكونها منحرفة عن الشرك وعن البدع، وهي في نفسها مستقيمة.

ولما سأله أهل القصيم عن عقيدته كتب لهم هذه العقيدة المختصرة، وذكر في آخرها أنه كتبها علىٰ عجالة، وأنه مشتغل البال، قال في آخرها: **«عقيدة وجيزة»** يعني: مختصرة **«حررتها وأنا**

(١) أخرجه البخاري معلقاً: كتاب العلم، بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ (١/ ٢٤).

مشتغل البال» فلم يكن كتبها متفرغا لها؛ لكثرة أعماله وقيامه بالدعوة، الدعوة إلىٰ الله وتعليم الناس، **«لتطلعوا علىٰ ما عندي»** أنه معتقدي **«والله علىٰ ما نقول وكيل»**.

○ قوله: **«بسم الله الرحمن الرحيم»** في بداية عقيدته، ابتدأ هذه العقيدة بالبسملة تأسيًا بكتاب الله العزيز، فالله تعالىٰ افتتح القرآن بالبسملة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفَاتِحَة: ١]، وكان النبي ﷺ يفتتح كتبه بالبسملة، فكتب إلىٰ هرقل: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ**»[(١)]، وهكذا سليمان عليه السلام لما كتب رسالة إلىٰ بلقيس قال: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾ [النَّمل: ٣٠].

○ قوله: **«أشهد الله أني عليها ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم علىٰ هذه العقيدة»** المؤلف رحمه الله يشهد الله ويشهد الملائكة ويشهد من حضر من المسلمين أنه يعتقد هذا المعتقد، والله عز وجل قد اطلع علىٰ ما في نفسه، واطلع علىٰ عقيدته أنه يعتقد هذا الاعتقاد.

وأَشهد من حضر من الملائكة، من الحفظة، وملائكة الليل، وملائكة النهار، وغيرهم من الملائكة الذين يتتبعون مجالس الذكر، وكذلك الكتبة، كلهم يُشهدهم المؤلف علىٰ عقيدته.

وأَشهد من حضره من الناس، وأشهد أهل القصيم حينما كتبها، أن هذا هو حقيقة معتقده.

○ قوله: **«أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة عقيدتي عقيدة الفرقة الناجية»** **الفرقة** أي: الطائفة، **والناجية وصفهم**: أنهم أهل السنة والجماعة، **سموا بالفرقة الناجية**؛ لأنهم

(١) أخرجه البخاري: كتاب بَدْءُ الْوَحْيِ، بَاب بَدْءُ الْوَحْيِ، رقم (٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، رقم (١٧٧٣).

ينجون من العذاب يوم القيامة، وبخلاف الفرق الأخرى المتوعدون بالعذاب، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»(١)، وفي رواية: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»(٢)، هذه هي الفرقة الناجية، والباقون متوعدون بالعذاب بالنار إلا أهل السنة والجماعة.

فالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعتقد عقيدة الفرقة الناجية الذين استثناهم النبي ﷺ في قوله: «**كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**» يعني: أعتقد عقيدة هذه الفرقة الواحدة.

فمعنى الناجية: الناجية من الوعيد والعذاب، فأهل السنة والجماعة نجوا.

وسموا أهل السنة للزومهم السنة وعملهم بالسنة، **وسموا الجماعة** لاجتماعهم علىٰ الحق.

وهم الطائفة المنصورة؛ منصورة في الدنيا بالحجة والبيان، وفي الآخرة ينصرهم الله.

فالفرقة الناجية هم الفرقة المنصورة، وهم أهل السنة والجماعة، وهم أهل الحق، وقد بشر النبي ﷺ أنها باقية إلىٰ قيام الساعة، قال عليه الصلاة والسلام في الصحيحين: «**لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الفتن، بَاب افْتِرَاقِ الْأُمَمِ، رقم (٣٩٩٣)، وأحمد في «المسند»: رقم (١٢٥٠١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٤٢)، و «السلسلة الصحيحة» (٢٠٤).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» رقم (٤٨٨٦)، قال الهيثمي: «رواه الطبراني في «الصغير» وفيه عبدالله بن سفيان، قال العقيلي: «لا يتابع علىٰ حديثه هذا»، وقد ذكره ابن حبان في «الثقات»». «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٩).

أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»[١] وهذه إشارة، أنهم لا يزالون، لكن هذه الفرقة قد تَكْثُر وقد تَقِل، فإن كل من لزم الحق واعتقد العقيدة السليمة، فآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، فهو من أهل السنة والجماعة، **وفي مقدمتهم**: الصحابة والتابعون والأئمة والعلماء أهل الحق، ومن تبعهم ولو لم يكونوا من أهل العلم، فقد يكون منهم النجار، والمزارع، والبائع، والمشتري، والجزار، والخياط، لكن مقدمتهم: أهل العلم والحديث.

○ قوله: **«من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره»**: هذه أصول الإيمان، وهذه أركان الإيمان الستة التي بينها وأخبر بها النبي ﷺ لما سأله جبريل عليه السلام في الحديث الصحيح عَنْ الْإِسْلَام، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»**، قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ»، قَالَ: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**[٢].

الأصل الأول: الإيمان بالله.

الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة.

الأصل الثالث: الإيمان بالكتب المنزلة.

الأصل الرابع: الإيمان بالرسل.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، بَاب سُؤَالِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُرِيَهُمْ النَّبِيُّ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ، رقم (٣٦٤١)، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٩٢٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، بَاب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ عَنْ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ، وَبَيَانِ النَّبِيِّ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: «جَاءَ جِبْرِيلُ عليه السلام يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»، فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ دِينًا، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٨) ـ واللفظ له ـ.

الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

قال هنا : «**البعث بعد الموت**» ؛ لأن الإيمان باليوم الآخر يشمل: البعث، ويشمل: الحساب، والجزاء، والجنة، والنار.

الأصل السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره.

هذه أصول جاءت بها الكتب المنزلة، جاء بها النبيون، ونزلت بها الكتب، وأجمع عليها المسلمون، ومن يجحد شيئًا منها يخرج عن دائرة الإسلام ويصير من الكافرين، فمن جحد الإيمان بالله فهو كافر، ومن جحد الإيمان بالملائكة فهو كافر، ومن جحد الإيمان بالكتب المنزلة فهو كافر، ومن جحد الإيمان بالرسل فهو كافر، ومن جحد البعث والجزاء أو الجنة أو النار كفر، ومن جحد القدر كفر.

فالإيمان بالله هو: الإيمان بوجوده ﷻ أنه موجود، والإيمان بربوبيته وأنه الرب وغيره المربوب، وأنه الخالق وغيره المخلوق، وأنه مالك وغيره مملوك، وأنه مدبِّر وغيره مدبَّر، والإيمان بأسمائه وصفاته وأفعاله، والإيمان بألوهيته واستحقاقه العبادة، الإيمان بالله ربًا وملكًا وإلهًا ومعبودًا بالحق.

والإيمان بالملائكة هو: الإيمان بملائكة الله الكرام، وأنهم أشخاص وذوات محسوسة، ولهم وظائف، وأنهم عند الله ﷻ متفاوتون، وأن الله وكّل إليهم كل حركة في هذا الكون، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

والإيمان بالكتب المنزلة هو: الإيمان بأن الله أنزل كتبًا علىٰ أنبيائه ورسله لهداية الناس، لا يعلم أسماءها إلا الله، فنؤمن بها إجمالًا، ونؤمن بما سمى الله منها وهي الكتب الأربعة العظيمة التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وصحف إبراهيم وصحف موسى، وما عداهما نؤمن به إجمالًا.

والإيمان بالرسل هو: الإيمان بأن الله أرسل رسلًا إلىٰ الخلق كثيرين، لا يعلم أسماءهم إلا الله، ونؤمن بمن سمى الله منهم في القرآن العظيم وهو خمسة وعشرون، منهم ثمانية عشر في سورة الأنعام، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٢-٨٦] والباقي في سور متفرقة وهم: آدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذو الكفل ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

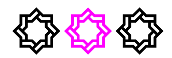
والإيمان باليوم الآخر هو: الإيمان بأن الله تعالىٰ يبعث الناس بعد ما يموتون، فتبعث الأجساد فيُنْشئها الله خلقًا جديدًا بعد أن ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور نفخة الصعق، فيموت الناس، فيمكثون أربعين، ثم يُنزل الله مطرًا تنبت منه أجساد الناس، فإذا كمل خلقهم أمر الله إسرافيل أن ينفخ بالصور نفخة ثانية فتعود الأرواح إلىٰ أجسادها؛ لأن الأرواح لا تموت، بل تبقى إما في عذاب وإما في نعيم ـ فإذا مات الإنسان دخلت روحه إلىٰ الجنة متصلة بالجسم، والكافر إذا مات نقلت روحه إلىٰ النار والجسد يبلى والروح باقية في عذاب أو نعيم، والجسد والروح كل منهما ينال ما قُدّر له من النعيم والعذاب، فإذا فني الجسد وصار ترابًا بقيت روح المؤمن في الجنة وروح الكافر في النار ـ فإذا بعث الله الأجساد يوم القيامة ونفخ إسرافيل في الصور بأمر الله عادت الأرواح إلىٰ أجسادها، فدخلت

كل روح في جسدها، فقام الناس ينفضون التراب عن رؤوسهم، ويقفون بين يدي الله للحساب والجزاء، حفاة عراة غير مختونين، كما في الحديث «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**»[١]، يحشرون علىٰ هذه الحالة شاخصة أبصارهم إلىٰ السماء، قالت عَائِشَةَ ﵂: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟! قَالَ ﷺ: «**الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ**»[٢] فكلٌ شاخصٌ بصرُه إلىٰ السماء، لا تهمه إلا نفسه؛ ذهول ورعب، ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ٢]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، وأول من يُكسى في الموقف إبراهيم ﵇، ثم يكسى الناس.

والإيمان بالبعث والجزاء والجنة والنار، والإيمان بما يحصل بالقبر من العذاب والنعيم، وسؤال منكر ونكير، كله تابع للإيمان باليوم الآخر.

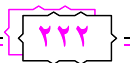
والإيمان بالقدر خيره وشره هو: الإيمان بأن الله عالم بالأشياء، قد كتبها في اللوح المحفوظ، وأراد كل شيء في هذا الوجود، وخلق كل شيء.

والإيمان بالقدر خيره وشره؛ لأنه قدر الأشياء خيرها وشرها.



(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم (١٦٠٤٢)، والحاكم في المستدرك: رقم (٣٦٣٨) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، بَاب كَيْفَ الْحَشْرُ، رقم (٦٥٢٧)، ومسلم: كِتَاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، رقم (٢٨٥٩).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه علىٰ لسان رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالىٰ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته، ولا أكيّف، ولا أمثّل صفاته تعالىٰ بصفات خلقه؛ لأنه تعالىٰ لا سميَّ له، ولا كفء له، ولا نِدّ له، ولا يقاس بخلقه».

الشَّرْحُ

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ شرح الأصول الستة للإيمان، فبدأ بالأصل الأول، فقال: «ومن الإيمان بالله وهذا هو الأصل الأول، يدخل به الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه أو علىٰ لسان رسوله في كتابه وعلىٰ لسان رسوله».

يدخل في الأصل الأول، وهو الإيمان بالله: الإيمان بما وصف الله به نفسه في الكتاب، وبما وصفه به رسوله في السنة، **فالله تعالىٰ وصف نفسه** بالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، **وسمى نفسه** بأنه سميع، عليم، بصير، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٢﴾ [التحريم: ٢]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤]

هذه الأسماء، وهذه الصفات كلها داخلة في الإيمان بالله.

ومن الإيمان بالله: الإيمان بأسمائه وصفاته، وكذلك ما وصف به النبي ربه وعلىٰ لسان الرسول ﷺ، وصف ربه بصفات وسماه بأسماء لم تأت في القرآن، مثل: قوله عليه الصلاة والسلام «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»[1]، فالرسول ﷺ وصف الله سبحانه بالنزول وهذا ليس بالقرآن، وقوله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَعْجَبُ مِنْ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ**»[2] **فوصف ربه بصة العجب.**

فالإيمان بالله هو: الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه العزيز من الصفات وما سمى به نفسه، وكذلك الإيمان بما وصفه به النبي الكريم ﷺ، وبما سماه به ﷺ في السنة المطهرة، كقوله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ**»[3]، فهذا مما وصف به النبي ﷺ ربه في السنة.

○ قوله: «**من غير تحريف ولا تعطيل**».

التحريف نوعان: تحريف في اللفظ، وتحريف في المعنى.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، بَاب الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، رقم (١١٤٥)، ومسلم: كِتَاب صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، رقم (٧٥٨).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: رقم (١٧٤٠٩)، قال محمد بن طاهر المقدسي: «وهذا لا أعلم رواه غير ابن لهيعة، وهو ضعيف». «ذخيرة الحفاظ» (٣/ ١٥٧٣)، قال أبو حاتم: «إنما هو موقوف». «علل الحديث» (٢/ ١١٦).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي التَّكْبِيرِ، رقم (٢٩٩٢)، ومسلم: كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، رقم (٢٧٠٤).

فالتحريف في اللفظ، مثل: تحريف اليهود حين قال لهم الله ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البَقَرَة: ٥٨]، فقالوا: «حنطة»، زادوا النون، فهذا تحريف لفظي وكذلك من التحريف اللفظي: تحريف بعض الجهمية لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النِّسَاء: ١٦٤] حرفوها وقالوا ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ منصوبة علىٰ التعظيم، حتى يجعلوا موسى هو المتكلم والله لا يتكلم، وهذا تحريف لفظي، فقال بعض أهل السنة: «هب يا عدو الله أنك حرفت هذه الآية، فكيف تقول في قوله ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣]؟»، فقال: «**جَرَحَهُ بِأَظَافِيرِ الْحِكْمَةِ تَجْرِيحًا**»[1]، فحرف المعنى، وقال: «**التكليم هو الجرح**»..

ومثل: الجهمية لما حرفوا، قوله تعالىٰ: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعرَاف: ٥٤]، قالوا: استولى الرحمن علىٰ العرش، يقول العلماء: إن الجهمية شابهوا اليهود، فاليهود زادوا النون، والجهمية زادوا اللام، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نون الْيَهُود وَلَام جهمي هما فِي وَحي رب الْعَرْش زائدتان[2]

والتحريف في المعنى، مثل: تحريف بعضهم للمعاني كقوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعرَاف: ١٤٣] أي جرحه بأظافر الحكمة، قالوا: الكلام معناه: الجرح، جرحه بأظافر الحكمة.

فالإيمان بالله يقتضي الإيمان بما وصف الله به نفسه من غير تحريف أوتعطيل، أو إنكار الصفة أو جحدها أو تأويلها بتأويل باطلوالواجب إثباتها على حقيقتها من غير تحريف ولا تعطيل.

○ قوله: «**بل أعتقد أن الله ﷻ ليس كمثله شيء يعني لا في**

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٥).
(٢) انظر: النونية (ص ١٢١).

ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته وهو السميع البصير».

السميع والبصير، اسمان من أسماء الله، وكل اسم مشتمل علىٰ صفة، فالسميع مشتمل علىٰ صفة السمع، والبصير مشتمل علىٰ صفة البصر.

○ قوله: «فلا أنفي ما وصف الله به نفسه» كما فعلت المعطلة.

○ قوله: «ولا أحرف الكلم عن مواضعه ولا ألحد في أسمائه وآياته ولا أكيف» **الإلحاد في اللغة**: الميل والعدول عن الشيء[1]، **وفي الاصطلاح**: الميل من الحق إلىٰ الباطل، إلحاد في أسماء الله بإنكارها أو تأويلها تأويلًا باطلًا، وكذلك الجحود في آيات الله أو تأويلها تأويلا باطلا.

○ قوله: «ولا أكيف، ولا أمثّل صفاته تعالىٰ بصفات خلقه» يعني: لا أقول في صفة الله أن كيفيتها كذا أو علىٰ كيفية كذا؛ إذ لا يعلم كيفيتها إلا الله، وأيضا لا أشبه صفة له بصفات خلقه، كما تقول المشبهة بأن الله تعالىٰ يده كيد المخلوق واستواؤه كاستواء المخلوق، وهذا كله ضلال.

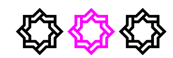
○ قوله: «لأنه تعالىٰ لا سمي له» **السمي هو**: المماثل، **والمعنى**: أن الله لا يماثله أحد من خلقه.

○ قوله: «ولا كفء له» **الكفء هو**: المساوي، قال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥] استفهام يدل علىٰ النفي، والمعنى: لا يساويه أحد.

(١) انظر: لسان العرب (٣/ ٣٨٩)، وتاج العروس (٩/ ١٣٥).

○ قوله: «ولا ند له» الند هو: النظير، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البَقَرَة: ٢٢].

فالله سبحانه لا يقاس ولا يشبه بخلقه، فهو تعالىٰ لا يساميه أحد، ولا يكافئه أحد، وليس له ند ولا نظير ولا مثيل، فلا يشبّه سبحانه بخلقه.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً، فنَزّه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصَّافات: ١٨٠-١٨٢]».

الشَّرْحُ

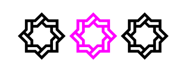
○ قوله: «**فإنه سبحانه أعلم بنفسه**» فهو سبحانه أعلم بنفسه، علما بأسمائه وصفاته، «**وبغيره**» فهو أعلم بغيره من خلقه.

فنؤمن بما أخبر الله به عن نفسه وبما أخبر عنه رسوله؛ لأنه أعلم بنفسه وأعلم بغيره من الخلق.

○ قوله: «**وأصدق قيلًا**» يعني: أصدق قولًا، فقول الله أصدق القيل، والله تعالىٰ أخبر عن نفسه بأسمائه وصفاته فنؤمن بها؛ لأن قول الله أصدق القيل وأحسن الحديث؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النِّسَاء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النِّسَاء: ٨٧].

○ قوله: «**فنَزّه نفسه عما وصفه به المخالفون**» يعني: الرب نزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل البدع وأهل الشرك، «**من أهل التكييف والتمثيل وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف**» الذين حرفوا ألفاظ أسماء الله وصفاته أو حرفوا معانيها، «**والتعطيل**» الذين

عطلوا الرب من أسمائه وصفاته أو عطلوا معانيها، فقال سبحانه في الكتاب: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصَّافات: ١٨٠] تنزيهًا لله ربك يا محمد ورب المخلوقين ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ صاحب العزة، أي: الذي له العزة ﷻ، فالعزة صفة من صفاته ﷻ، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ أي: عما يصفه به المشركون وأهل الكفر والضلال، فإذا وصفوه بالنقائص والعيوب فالله نزه نفسه عن ذلك، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصَّافات: ١٨١] سلم على المرسلين ليس كما قاله المشركون من الكذب والإفك والافتراء، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الصَّافات: ١٨٢] حمد نفسه؛ لأنه يستحق الحمد لما له من الأسماء والصفات العظيمة، ولما له من النعم على خلقه.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالىٰ بين القدرية والجبرية، وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج».

الشَّرْح

هذا وصف أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية ومن السنة جاء الوسط، وسط في باب أفعال الله، وسط في باب وعيد الله، ووسط في باب الدين والإيمان، ووسط في باب الصحابة، فالفرقة الناجية وسط بين الفرق، كما أن هذه الأمة وسط بين الأمم، هذه الأمة وسط قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣] يعني: خيارًا عدولًا؛ بين تفريط اليهود وغلو النصارى، **فمثلًا**:

النصارى غلو في المسيح، فقالوا: إنه ابن الله، فرفعوه من مقام العبودية والرسالة إلىٰ مقام الألوهية ـ والعياذ بالله ـ.

واليهود فرطوا وأنكروا حقه حتى أنهم رموه بالزنا والعياذ بالله.

وأهل الإسلام كما علّمهم ربهم قالوا: إنه عبد الله ورسوله.

فكذلك فرقة أهل السنة والجماعة وسط بين الأمم المخالفة وبين فرق أهل البدع:

المثال الأول: أنهم وسط في باب أفعال الله بين القدرية والجبرية:

فالقدرية يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه، وأنكروا أن يكون الله هو الفاعل، أنكروا أن يكون الله هو الخالق لأفعال العباد، قالوا: العباد هم الذين يخلقون الطاعات والمعاصي ولذلك المؤمن يستحق الثواب علىٰ الطاعة كما يستحق الأجير أجره، ويقولون: الله لا منة له في ذلك؛ إذ العبد هو الذي خلق الحسنات والأفعال، فيجب علىٰ الله أن يثيب المطيع ويعذب العاصي، وليس له أن يغفر له ولا أن يرحمه؛ لأن الله توعده فلا بد أن ينفذ وعيده. وهؤلاء هم القدرية، أنكروا أن يكون الله هو الخالق لأفعال العباد، فقالوا: العباد هم الخالقون والفاعلون لأفعالهم.

والجبرية غلو، فقالوا: العباد لا يفعلون شيئًا وأفعالهم كلها اضطرارية، والله تعالىٰ هو الذي خلق العباد وخلق أفعالهم، والعباد ليس لهم شيء من أفعالهم أبدًا، فهم مجبورون علىٰ أفعالهم، والفاعل هو الله، وحركات العباد اضطرارية كحركة المرتعش والنائم، والعباد كالكؤوس التي يُصب فيها الماء فهم وعاء، فالناس وعاء، والله كصبّاب الماء فيه.

وأهل السنة وسط؛ لم يقولوا بقول القدرية أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم، ولم يقولوا بقول الجبرية أن العبد مجبور، بل قالوا:

الأفعال من الله خلقًا وإيجادًا، ومن العبد فعلًا وتسببًا وكسبًا،

فالله تعالىٰ خالق العباد وأفعالهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصَّافات: ٩٦]، ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل للعبد قدرة واختيارًا، فيختار ويفعل، ومشيئته ترجع لمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ.

فصاروا وسطا بين القدرية الذين قالوا: أفعال العباد هم الذين خلقوها، وبين الجبرية الذين قالوا: العبد مجبور وليس له حركة ولا فعل، فقال أهل السنة: العبد له اختيار وله قدرة، والله تعالىٰ هو خالق العباد وخالق أفعالهم وقدرتهم، فالأفعال من الله خلقًا وإيجادًا، ومن العبد فعلًا وتسببًا وكسبًا.

المثال الثاني: أنهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية:

فالوعيدية ـ وهم الخوارج والمعتزلة ـ **يقولون**: إن الإنسان إذا فعل الكبيرة فهو موعود بالنار ومن أهل النار، والخوارج يسمون فاعل الكبيرة كافر، والمعتزلة يسمونه فاسق لا مؤمن ولا كافر، وفي الآخرة يتفقون مع الخوارج علىٰ تخليده في النار.

المثال الثالث: أنهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية ـ الخوارج ـ والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية:

فالحرورية والمعتزلة يقولون: إذا فعل الإنسان المعصية فعند الخوارج: يكفر، ويجب قتله، ويستباح دمه وماله، ويخلدونه في النار في الآخرة بالمعصية. وعند المعتزلة في الدنيا: يخرج من الإيمان، ولكن لا يدخل في الكفر، بل يصير بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، وفي الآخرة مخلد في النار.

والمرجئة والجهمية قالوا: المعاصي لا تضر الإيمان، ولو فعل جميع المنكرات والمعاصي فلا يتأثر إيمانه، بل كامل الإيمان.

وأهل السنة وسط بين الطائفتين، فيقولون: المعاصي تُضر بإيمان العبد، وتُضعفه، فلا يكفر بالمعاصي، فلا يخرج من الإيمان كما يقول الخوارج بالمعصية، لأن المعاصي ـ دون الشرك ـ لا تُخرج الإنسان من الإيمان، فلا يزال مؤمنا لكنه ناقص الإيمان ضعيفه.

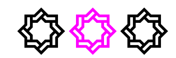
المرجئة ـ وهم الجهمية ـ **يقولون**: الذي يفعل جميع الكبائر ليس عليه وعيد، ويسمون فاعل الكبائر: مؤمن كامل الإيمان.

المثال الرابع: **أنهم وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج**:

فالروافض كفروا الصحابة وشتموهم ولعنوهم، ولم يستثنوا إلا نفرًا قليلا ـ كعلي رضي الله عنه ومن والاه ـ وغلو في أهل البيت فعبدوهم من دون الله.

والخوارج نصبوا العداوة لأهل البيت.

وأهل السنة وسط ـ لا يقولون بقول الخوارج ولا بقول الروافض ـ **فهم**: يتولون أصحاب رسول الله ﷺ، ولا يبغضونهم، ولا يسبونهم، ولا يشتمونهم، ويتولون أهل البيت والصحابة وينزلونهم منازلهم بالإنصاف والعدل علىٰ حسب النصوص، فهم لا يؤذون أهل البيت كما تفعل الخوارج، ولا يؤذون الصحابة كما تفعل الروافض.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأعتقد أن القرآن كلام الله، منَزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله علىٰ عبده ورسوله وأمينه علىٰ وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد، وأومن بأن الله فعّال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور».

الشَّرْحُ

○ قوله: **«وأعتقد أن القرآن كلام الله، منَزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة»** هذه عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، فهم يعتقدون أن القرآن كلام الله لفظه ومعناه، وأن كلام الله حروف وكلمات، وأن الله تكلم به حقيقة بحرف وصوت، سمعه منه جبريل، ونزل به علىٰ قلب نبينا محمد ﷺ؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣-١٩٥] فالله أنزله علىٰ عبده ورسوله وأمينه علىٰ وحيه محمد ﷺ وسفيره بينه وبين عباده؛ لأنه عليه الصلاة والسلام هو الواسطة بيننا وبين الله.

خلافًا لأهل البدع؛ فالمعتزلة قالوا: القرآن مخلوق لفظه ومعناه.

والأشاعرة قالوا: لفظ القرآن معنى في القلب بنفس الرب لا يُسمع، ليس بحرف ولا صوت، فالقرآن معنى، أما الألفاظ والحروف فهي مخلوقة، فيقولون: القرآن الذي بين أيدينا هذا ليس كلام الله، بل هو كلام في نفسه لا يُسمع، إنما هذا عبارة عن كلام الله.

قالوا: الله تعالىٰ اضطر جبريل اضطرارًا، ففهم المعنى القائم بنفسه، فهذا القرآن كلام جبريل، ومنهم من قال: الذي عبر هو محمد، وقالت طائفة ثالثة: إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ ولم يسمع من الله ولا كلمة.

فجعلوا الرب أبكم لا يتكلم ـ نعوذ بالله ـ؛ لأنهم يقولون: لو تكلم بحرف وصوت، صار محلا للحوادث، فقالوا: هو مثل الشيء الذي تحدث به نفسك ـ تعالىٰ الله عما يقولون ـ فهذا كلامهم الباطل.

فرع: لهذا بعض الأشاعرة يهونون من شأن المصحف، فيقولون: المصحف ليس فيه كلام الله، إنما عبارة عن كلام الله، يعني: أن كلام الله مجاز؛ لأن كلام الله في نفسه، لا يُسمع.

وأهل السنة والجماعة يقولون: القرآن كلام الله لفظه ومعناه، تكلم به الله ﷻ، وسمعه جبريل، ونزل به علىٰ قلب محمد ﷺ، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف، فبين المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن عقيدته هي عقيدة أهل السنة والجماعة، لا عقيدة الأشاعرة ولا عقيدة المعتزلة.

○ قوله: «**وأومن بأن الله فعّال لما يريد**» **فيه**: إثبات صفة الإرادة، **وفيه**: إثبات صفة الفعل؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ [هُود: ١٠٧]، فهو ﷻ يفعل باختياره ومشيئته، وهو يريد.

○ قوله: «**ولا يكون شيء إلا بإرادته**» **الإرادة نوعان**:

١ـ إرادة كونية قدرية.

٢ـ إرادة دينية شرعية.

والمراد هنا: الكونية، فلا يكون شيء ولا يمكن أن يقع في هذا الوجود شيء إلا بإرادة الله ومشيئته.

○ قوله: «**ولا يخرج شيء عن مشيئته**» فكل شيء في هذا الكون قد أراد الله وجوده كونا، وذلك لحكمة بالغة.

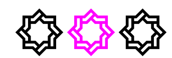
○ قوله: «**وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود**» ليس شيء في العالم؛ مما في السماوات والأرض وما بينهما إلا يخرج عن تقدير الله، ولا يوجد ويكون إلا بتدبيره، ولا يمكن أن يخرج أحد عما قدره الله وكتب في اللوح المحفوظ «**ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور**» واللوح المحفوظ كتب الله فيه كل شيء؛ الأفعال، والأقوال، والنيات، والشقاء، والسعادة، والعز، والذل، والرزق، والرطب، واليابس، كل شيء مكتوب، قال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، وفي صحيح مسلم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[1]، وفي السنن أنه ﷺ قال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: «اكْتُبْ»، قَالَ: «رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟»**»،

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، رقم (٢٦٥٣).

قَالَ : «**اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»[1] .

لا محيد لأحد أن يتجاوز ما خُطَّ له في اللوح المحفوظ، وفي البخاري، قال: «**وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ**»[2]، والذكر هو: اللوح المحفوظ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥].



(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَاب فِي الْقَدَر، رقم (٤٧٠٠)، والترمذي: كتاب القدر، بَاب مَا جَاءَ فِي الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، رقم (٢١٥٥)، وأحمد في «المسند»: رقم (٢٢٧٥٧). وقال الترمذي: «وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ».

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، بَاب مَا جَاءَ فِي سَبْعِ أَرَضِينَ، رقم (٣١٩٢).

قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي مما يكون بعد الموت، فأومن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلىٰ الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلًا، تدنو منهم الشمس، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣]، وتنشر الدواوين فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتابه بشماله».

الشَّرْحُ

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يبين أنه يؤمن «**بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت**» فهذا كله داخل في الإيمان باليوم الآخر.

فيجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ بما يكون بعد الموت، **مما ثبت في الكتاب والسنة ومن ذلك:**

الأول: البرزخ وهو: ما يكون بعد الموت إلىٰ قيام الساعة، **والدور ثلاثة:**

دار الدنيا: وهي من حين يولد الإنسان إلىٰ أن يموت.

ودار البرزخ: من حين أن يموت إلىٰ يوم القيامة.

ودار القرار من يوم القيامة إلىٰ ما لا نهاية إلىٰ دخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار.

بين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنه يعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ

بما يكون بعد الموت في دار البرزخ وفي دار الآخرة.

الثاني: فتنة القبر وهي: السؤال والاختبار في القبر، وذلك أن الإنسان إذا مات وُضع في قبره يأتيه ملكان يختبرانه، يقال لأحدهما منكر، والثاني: نكير، يختبرانه ويسألانه ثلاثة أسئلة، السؤال الأول: من ربك؟، والسؤال الثاني: من نبيك ؟، والسؤال الثالث: ما دينك؟

إن أجاب علىٰ هذه الثلاث أسئلة نجح في الاختبار، وصار من أهل الجنة، وإذا لم يجب هلك، وهذا إذا كان الإنسان مؤمنا في الدنيا فإنه يجيب، كما جاء في الحديث: «**رَبِّيَ اللهُ، دِينِيَ الْإِسْلَامُ، الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ هُوَ رَسُولُ اللهِ**»(١) يثبته الله، قال الله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وأما الكافر والمجرم والفاسق ولو كان أفصح الناس في الدنيا ولو كان يعلم سبعة ألسنة كما يقال فإنه لا يستطيع أن يجيب علىٰ هذه الأسئلة بل يخذل، قال النبي ﷺ: «**وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ : لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**»(٢) أي: لا فعلت بنفسك الحق، ولا تبعت من يقول الحق، ويعمل به، فيضرب بمِرْزَبَّة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل ما خلق الله إلا الثقلين، ولو سمعها الإنسان لصعق، هذه الفتنة التي قال المؤلف: «**أومن بفتنة القبر**».

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَاب فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، رقم (٤٧٥٣)، وأحمد في «المسند» رقم (١٨٥٥٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، بَاب الْمَيِّتُ يَسْمَعُ خَفْقَ النِّعَالِ، رقم (١٣٣٨)، ومسلم: كِتَاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، رقم (٢٨٧٠).

○ قوله: «**ونعيمه**» يُنَعَّم المؤمن في قبره، كما قال ﷺ: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمْ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي**».

○ قوله: «**وعذابه**» يُعذَّب الكافر في قبره، كما قال ﷺ عن الكافر: «**يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ. فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؛ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمْ السَّاعَةَ**»(١) ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

■ **مسألة: الفاسق العاصي معلوم أنه يطهر في النار ثم يدخل الجنة، فكيف يعامل مثل هذا في القبر؟**

● **الجواب:** الفاسق ما يلزم أنه يعذب في النار، بل هو تحت مشيئة الله قد يعذبه وقد لا يعذبه، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] قد يعفى عنه ولا

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَاب فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، رقم (٤٧٥٣)، وأحمد في «المسند»: رقم (١٨٥٥٧) ـ واللفظ له ـ، قال البيهقي: «هذا حديث صحيح الإسناد». «شعب الإيمان» (١/ ٣٥٧)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح». «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٠).

يعذب فهو تحت مشيئة الله، وقد يستحق العذاب فيشفع فيه قبل أن يدخل النار، وقد يعذب في النار، وكذلك القبر منهم من يعذب في قبره، مثلًا: فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**»، ثُمَّ قَالَ: «**بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟»، قَالَ: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا أَوْ إِلَى أَنْ يَيْبَسَا**»[1] وقد تصيبه أهوال وشدائد يوم القيامة فالله أعلم بهم، وكذلك في القبر كما في الحديث قال «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا أَوْ إِلَى أَنْ يَيْبَسَا**»، الذي لا يستتر من البول والذي يمشي بالنميمة يمسهم عذاب القبر، فبعض أصحاب المعاصي يمسهم عذاب أصحاب المعاصي، مثل: النميمة والغيبة، وعدم الاستتار من البول، مثل: الزنا، فالزناة والزواني يعذبون، وكذا آكل الربا، والذي ينام عن الصلاة ويرفض القرآن كلهم يعذبون.

فالمؤمن الموحد يجيب بالإيمان بالله والإيمان بالنبي ﷺ والإسلام، ما دام مؤمنا فلا بد أن يجيب، ولا يمنع هذا أن يعذب بعض العصاة وإن كان مؤمنًا؛ ومن لم يعرف ربهفلم يؤمن بربه ولا بدينه ليس بمؤمن.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، بَاب مِنْ الْكَبَائِرِ أَنْ لَا يَسْتَتِرَ مِنْ بَوْلِهِ، رقم (٢١٦)، ومسلم: كتاب الطهارة، رقم (٢٩٢).

الثالث: إعادة الأرواح إلىٰ الأجساد، قال المؤلف: «**وبإعادة الأرواح إلىٰ الأجساد**» فإنه إذا مات الناس، وبلَت أجسادُهم، يبعثها الله مرة أخرى، ويعيد الذرات التي في التراب؛ لأن الله عالم وقادر، وإذا كملت الأجساد بعد ذلك أمر الله إسرافيل ونفخ في الصور فعادت الأرواح إلىٰ أجسادها ـ ؛لأن الروح كما سبق باقية لا تموت، بل هي إما في نعيم وإما في عذاب ـ فتدخل كل روح إلىٰ جسدها فيحيا الجسد، فيقوم الناس ينفضون التراب عن رؤوسهم.

وقد أمر الله نبيه أن يقسم علىٰ البعث في ثلاثة مواضع في القرآن العظيم:

الموضع الأول: قول الله تعالىٰ في سورة التغابن: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ﴾ [التَّغَابُن: ٧].

الموضع الثاني: قوله تعالىٰ في سورة يونس ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ﴾ يعني: البعث ﴿قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ﴾ [يُونس: ٥٣].

الموضع الثالث: قوله تعالىٰ في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ [سَبَإ: ٣].

مذهب أهل البدع:

اعتقاد بعث الأجساد هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافًا للكفار والفلاسفة فهم لا يؤمنون ببعث الأجساد، يقولون: البعث إنما هو للأرواح، فهي التي تُبعث يوم القيامة، والأجساد لا تُبعث، وهذا كفر.

* * *

الرابع: **قيام الناس لرب العالمين**، قال المؤلف: «فيقوم الناس لرب العالمين» يعني: بعد بعث الأجساد وعود الأرواح إليها يقوم الناس لرب العالمين، قياما للحساب والجزاء.

ما هي صفاتهم؟

● **الجواب:** لهم ثلاث صفات:

١ ـ «حفاة» أي: حفاة، لا نعال عليهم، فيمشون إلىٰ المحشر حفاة، الملوك والرؤساء والعامة والخاصة والرجال والنساء كلهم.

٢ ـ «عراة» ليس عليهم ثياب، الرجال والنساء كلهم عراة، والبصر منهم شاخص إلىٰ السماء، فلا أحد ينظر إلىٰ الآخر؛ من شدة الهول، وتجد الإنسان في الدنيا إذا ذهل أو استغرق في التفكير لا يرى من أمامه، فتمر به وتسلم عليه ولا يرد عليك السلام، ثم إذا لقيته بعد فقلت: ما بك إذ لم تجب السلام؟ قال: والله ما علمت أنت سلمت؛ ذلك أن ذهنه مشغول، هذا في أمور الدنيا، فكيف إذن في أمور الآخرة مع الأهوال، إذا انشقت السماء، وانكدرت النجوم، وسيرت الجبال، ومدت الأرض، وزلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وصارت الجبال كالعهن المنفوش، فماذا يكون حال الإنسان؟

فأبصارهم حينئذ شاخصة إلىٰ السماء، فلا أحد ينظر إلىٰ أحد، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣]، وذلك من شدة الهول.

٣ ـ «غرلاً» يعني: غير مختونين، فإن الإنسان وهو صغير تقطع الجلدة التي في ذكره ـ يسمي البعض هذه العملية: (ختان) ويسميها البعض: (طهار) ـ فهذه الجلدة تعود يوم القيامة إلىٰ المرء فيصبح غير مختون، فيصبح أغرل غير مختون.

الخامس: دنو الشمس من الخلائق يوم القيامة، قال المؤلف: «**تدنو منهم الشمس**» تدنو الشمس من رؤوس الخلائق، فتكون علىٰ قدر ميل من الرؤوس، ويُزاد في حرارتها أيضًا، ماذا تكون حال الناس؟!

ويلجمهم العرق علىٰ حسب الأعمال، منهم: من يصل عرقه مسافات ومنهم دون ذلك.

* * *

السادس: الميزان، قال المؤلف: «**وتنصب الموازين**» أي: موازين الأعمال، الحسنات والسيئات، فتوزن بهذه الموازين أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه فأولئك المؤمنون، من رجحت حسناته علىٰ السيئات، فهم المفلحون، أفلحوا وفازوا بالخيرات، هذا وزن الأعمال.

ويوزن أيضا الأشخاص، كما في الصحيحين أن رسول الله قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»(١) بحسب عمله، فالرجحان علىٰ حسب العمل، ولما كُشف عن ساق عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه ضحك الصحابة، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»(٢)، فهاتان

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَاب أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ الْآيَةَ، رقم (٤٧٢٩)، ومسلم: كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم (٢٧٨٥).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: رقم (٣٩٩١)، قال الهيثمي: «رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَى، وَالْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ طُرُقٍ، وَفِي بَعْضِهَا: «لَسَاقَا ابْنِ مَسْعُودٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ». وَفِي بَعْضِهَا: «بَيْنَا هُوَ يَمْشِي وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ هَمَزَهُ أَصْحَابُهُ أَوْ بَعْضُهُمْ»، وَأَمْثَلُ طُرُقِهَا فِيهِ: عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ، وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ عَلَى ضَعْفِهِ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِ أَحْمَدَ وَأَبِي يَعْلَى رِجَالُ الصَّحِيحِ». «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٨٩).

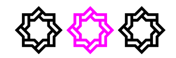
الساقان الخفيفتان هما أثقل في الميزان من جبل أحد؛ لحسن العمل، فالثِّقَل والخِّفَّة من العمل، فمن ثقلت موازينه نجى، ومن خفت موازينه هلك، قال تعالىٰ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٣].

* * *

السابع: نشر الدواوين، قال المؤلف: «وتنشر الدواوين» أي: دواوين الصحف والأعمال، **«فآخذٌ كتابه بيمينه»** وهم: المؤمنون، **«وآخذٌ كتابه بشماله»** وهم: الفجار.

قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقَّة: ١٩] فَرِحٌ مسرور، فيقول للملائكة: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقَّة: ٢٠-٢٤].

والذي يعطى كتابه بشماله حاله كما في الآيات الأخرى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾ [الانشقاق: ١٠] فيُعطى كتابه بشماله، مَلْويَّةً وراء ظهره، ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ ماذا يقول حينئذ؟ ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾﴾ يتحسر، ﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقَّة: ٢٥-٣٢] ما هو عمله؟ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقَّة: ٣٣-٣٧]، **«فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذٌ كتابه بشماله»**.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وأومن بحوض نبينا محمد بعرصة القيامة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، وأومن بأن الصراط منصوب علىٰ شفير جهنم يمر به الناس علىٰ قدر أعمالهم».

الشَّرْحُ

الثامن: مما يجب الإيمان به مما يكون في اليوم الآخر: الحوض؛ قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: **«وأومن بحوض نبينا محمد ﷺ بعرصة القيامة»**، **والعرصة هي**: المكان الفسيح الذي لا بناء فيه[(١)]، فمعنى عرصات القيامة: الأمكنة الفسيحة يوم القيامة؛ إذ يُزال ما علىٰ الأرض من جبال ووهاد، فتصبح كلها مستوية، ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ١٠٧﴾ [طه: ١٠٧].

في عرصة القيامة: حوض نبينا محمد ﷺ، ووصفه: طوله مسافة شهر، وعرضه مسافة شهر ـ يمشي فيه الإنسان مدة شهر لا يصل طرفه من الطول، والعرض كذلك ـ يصب فيه ميزابان من نهر الكوثر في الجنة، **«ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل»** وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك، **«من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا»** حتى يدخل الجنة، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الواردين عليه.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٠)، والصحاح والمصباح ـ مادة: عرص، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٠٨).

والذين غيروا وبدلوا يَرِدون علىٰ الحوض ويطردون؛ تطردهم الملائكة وتصدهم وتضربهم.

وجاء في الحديث: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا**»[(١)]، ولكن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأكثرها وأحلاها، وأكثرها واردًا جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

* * *

التاسع: الصراط؛ قال المؤلف: «**وأومن بأن الصراط منصوب علىٰ شفير جهنم يمر به الناس علىٰ قدر أعمالهم**» الصراط منصوب علىٰ مقدمة جهنم، يمر به الناس علىٰ قدر أعمالهم، فالطائفة الأولى تمر كالبرق، يمرون علىٰ الصراط ويذهبون إلىٰ الجنة، فمن تجاوز الصراط وصل الجنة، يصعد الناس فيه إلىٰ الجنة، فالجنة فوق والنار تحت، قال رسول الله: «**فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ،**

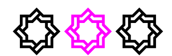
---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والروع، بَاب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ، رقم (٢٤٤٣)، قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَقَدْ رَوَى الْأَشْعَثُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ النَّبِيِّ مُرْسَلًا، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ سَمُرَةَ، وَهُوَ أَصَحُّ».

قال الحافظ ابن حجر: «وَالْمُرْسَل أَخْرَجَهُ اِبْن أَبِي الدُّنْيَا بِسَنَدٍ صَحِيح عَنْ الْحَسَن قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيّ حَوْضًا وَهُوَ قَائِم عَلَى حَوْضه بِيَدِهِ عَصَا يَدْعُو مَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّته، إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيّهمْ أَكْثَر تَبَعًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُون أَكْثَرهمْ تَبَعًا**»، **وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ وَجْه آخَر عَنْ سَمُرَة مَوْصُولًا مَرْفُوعًا مِثْله، وَفِي سَنَده لِينٌ، وَأَخْرَجَ اِبْن أَبِي الدُّنْيَا أَيْضًا مِنْ حَدِيث أَبِي سَعِيد رَفَعَهُ «وَكُلّ نَبِيّ يَدْعُو أُمَّته وَلِكُلِّ نَبِيّ حَوْضٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيه الْفِئَام، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيه الْعُصْبَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيه الْوَاحِدُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيه الِاثْنَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَأْتِيه أَحَدٌ، وَإِنِّي لَأَكْثَرُ الْأَنْبِيَاء تَبَعًا يَوْم الْقِيَامَة**»، وَفِي إِسْنَاده لِين، وَإِنْ ثَبَتَ فَالْمُخْتَصّ بِنَبِيِّنَا الْكَوْثَرُ الَّذِي يُصَبّ مِنْ مَائِهِ فِي حَوْضه فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ نَظِيرُهُ لِغَيْرِهِ، وَوَقَعَ الِامْتِنَان عَلَيْهِ بِهِ فِي السُّورَة الْمَذْكُورَة». «فتح الباري» (١١/ ٤٦٧).

وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: «رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ» حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، وَفِي حَافَتَيْ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ»(١).

فالمؤمن يؤمن بالصراط، وأنه صراط حسي، منصوب علىٰ مقدمة جهنم، يمر الناس به علىٰ قدر أعمالهم.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٩٥).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأومن بشفاعة النبي ﷺ، وأنه أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، **وقال تعالىٰ:** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، **وقال تعالىٰ:** ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]، **وهو لا يرضى إلا التوحيد، ولا يأذن إلا لأهله. وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب كما قال تعالىٰ:** ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]».



العاشر: الشفاعة.

يشفع النبي ﷺ يشفع يوم القيامة شفاعاتٍ خاصة به، وهي شفاعته في موقف القيامة حتى يقضي الله بين العباد، والشفاعة لأهل الجنة بالإذن لهم في دخولها، والشفاعة في عمه أبي طالب لأجل تخفيف العذاب عنه.

وهناك شفاعات مشتركة بينه ﷺ وبين الأنبياء والصالحين، كالشفاعة فيمن استحق دخول النار ألا يدخلها، والشفاعة فيمن دخلها من أهل التوحيد أن يخرج منها، فالشفاعة تكون لأهل التوحيد، أما الكافر فليس له نصيب من الشفاعة.

فالشفاعة تكون للموحد العاصي، فالعاصي الذي استحق دخول النار يشفع فيه نبينا ﷺ؛ كما جاء أنه ﷺ يشفع أربع شفاعات، في كل مرة يحد الله له حدا يخرجهم من النار بالعلامة، وكذلك الأنبياء يشفعون، والصالحون أيضا يشفعون، وتبقى بقية لا تنالهم الشفاعة فيخرجهم رب العالمين برحمته.

والذين في النار يمكثون فيها علىٰ حسب أعمالهم، يُطَهَّرُون من معاصيهم، ولكن لا يخلدون؛ لأنهم ماتوا علىٰ التوحيد.

فإذا تكامل خروج العصاة ولم يبق أحد أطبقت النار علىٰ الكفرة، اليهود والنصارى والوثنيون والملاحدة، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، كل هؤلاء لا يخرجون أبدًا، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهُمَزة: ٨] أي: مطبقة مغلقة، قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٧﴾ [المَائدة: ٣٧]، قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البَقَرَة: ١٦٧]، فالكفرة لا يخرجون، بل تُطْبَقُ عليهم بعد خروج العصاة.

العصاة الموحدون **منهم**: من يعفو الله عنه قبل الدخول، **ومنهم**: من يستحق دخول النار فيشفع الله فيه الشفعاء فلا يدخلها، **ومنهم**: من يشفع فيه بعد دخول النار، **ومنهم**: من يخرجه الله برحمته، وهذا قد توارت بذلك الأخبار، وقد أنكر أهل البدع الشفاعة قبل الدخول وبعد الدخول، فعندهم أن من دخل النار فلا يخرج منها كما أن من دخل الجنة لا يخرج منها.

والكافر ليس له نصيب من الشفاعة، والجنة عليه حرام، والنار هي مَقَرُّه ومُسْتَقَرُّه أبد الآبدين ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

○ قوله: «**وأنه أول شافع وأول مشفع**» أول شافع هو الرسول ﷺ، وهو أول مُشَفَّع يشفِّعه الله.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة أنهم يُثبتون الشفاعة للعصاة الموحدين.

مذهب أهل البدع:

قال المؤلف رحمه الله: «**ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال**»؛ يريد: أهل البدع من الخوارج والمعتزلة، فهم قد أنكروا الشفاعة في عصاة الموحدين، وقالوا: ليس ثَمَّ شفاعة، فالعاصي مخلد في النار، ليس فيه شفاعة مثل الكافر، والأدلة التي فيها إثبات الشفاعة متواترة، ومع ذلك أنكرها الخوارج والمعتزلة؛ قالوا: هي أخبار آحاد، وقالوا: من دخل النار لا يخرج منها، كما أن من دخل الجنة لا يخرج منها، فالذي سيدخل النار من العصاة والكفار كلهم سواء، وأهل الجنة هم المطيعون، وهذا باطل؛ فالنصوص متواترة في إخراج العصاة الموحدين وأنهم يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين.

شرطا الشفاعة:

قال المؤلف: «**ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى**» الشافع لا يشفع حتى يأذن الله له، وهذا هو **الشرط الأول**: الإذن.

▪ **إذا رضي محمد ﷺ أن يشفع الشافع، هل يشفع؟**

• **الجواب**: لا؛ إذ أنه ﷺ حتى في الشفاعة الكبرى، لا يبدأ بالشفاعة مباشرة بل كما قال ﷺ: «**فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي**

وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا» بعد أن يتركه الله ما شاء أن يتوب أن يتركه، «**فَيُقَالُ : «يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهْ»**(١)، هذا الإذن؛ فيرفع ﷺ رأسه بعد الإذن ويشفع.

وكذلك من يشفع من الأنبياء والصالحين ما يشفع إلا بعد الإذن.

الشرط الثاني: الرضى، فلا بد أن يرضى الله سبحانه عن المشفوع له، فإذا كان المشفوع له موحدا رضي الله أن يشفع عنه، وإذا كان مشركا لم يكن له نصيب في الشفاعة، ولهذا قال المؤلف: **«وهو لا يرضى إلا التوحيد»** فالرب سبحانه لا يرضى إلا التوحيد، فالذي مات علىٰ التوحيد يرضى الله أن يُشفع له، قال المؤلف: **«ولا يأذن إلا لأهله»** يعني : لأهل التوحيد.

أما الذي مات علىٰ الشرك فليس له نصيب من الشفاعة، والدليل قول الله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثِّر: ٤٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤] يعني: الكفار.

---

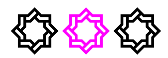
(١) أخرجه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [نُوح: ١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ٧١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يُونس: ٧٢]، رقم (٣٣٤٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٩٤).

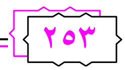
❁ **ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الأدلة على الشروط؛ فقال:**

١ - ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، هذا الشرط الثاني.

٢ - ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، هذا الشرط الأول: الإذن.

٣ - ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النّجم:٢٦] هذا الآية ذكر الله فيها الشرطين؛ فقوله: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ هذا الشرط الأول، وقوله: ﴿وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ هذا الشرط الثاني.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما اليوم موجودتان، وأنهما لا يفنيان، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون في رؤيته».

الشَّرْحُ

الحادي عشر: الجنة والنار؛ قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: **«وأومن بأن الجنة النار مخلوقتان»** الإيمان بالجنة والنار لابد منه، فمن أنكر الجنة وأنكر النار فهو كافر؛ لأنه مكذب لله؛ فإن الله تعالىٰ أخبرنا في القرآن بالجنة والنار، فمن أنكر الجنة والنار فهو مكذب لله، ومن كذب الله فقد كفر.

○ قوله: **«وأنهما اليوم موجودتان»** أي: الإيمان بأن الجنة والنار موجودتان الآن.

مذهب أهل البدع:

خلافًا للمعتزلة، فإنهم يقرون بالجنة والنار، لكن لا يقرون أنهما الآن موجودتان، يقولون: تُخلقان يوم القيامة، زاعمين أن وجودهما الآن وليس فيهما أحد عبث، والعبث محال علىٰ الله.

وهذا باطل؛ فإن النصوص قد دلت علىٰ أنهما الآن موجودتان، قال تعالىٰ عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣]، وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٤].

وليس صحيح أن ليس ثَمَّ حاجة لهما الآن، وأن في وجودهما

الآن عبث؛ بل إن في الجنة الحور والولدان، وتُغرس فيها الغراس، وتُبنى له الدور بالذكر والتسبيح، ويُفتح للمنعمين في البرزخ وهم في قبورهم باب إلىٰ الجنة فيأتيهم من روحها وطيبها، ورُوح المؤمن في الجنة.

والنار كذلك موجودة الآن فيها روح الكافر تُعَذَّب، ويفتح للمعذبين في البرزخ وهم في قبورهم باب إلىٰ النار فيأتيهم من حرها وسمومها.

فقول المعتزلة هذا من جهلهم وظلالهم، والله سبحانه العليم الحكيم.

○ قوله: «**وأنهما لا يفنيان**» هذه عقيدة أهل السنة والجماعة؛ أن الجنة والنار مخلوقتان، وهما الآن موجودتان، وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان أبد الآباد.

۞ مذهب أهل البدع:

١ ـ مذهب الجهم بن صفوان[(١)]، يقول: إن الجنة والنار تفنيان يوم القيامة، وهذا من جهله وكفره وضلاله.

٢ ـ مذهب أبي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة الثالث[(٢)] يقول: تفنى الحركات، حركات أهل الجنة وأهل النار، فيأتي يوم يجمدون

---

(١) جهم بن صفوان هو: أبو مُحْرِزٍ السَّمَرْقَنديِ، رأس الجَهْمِيَّة مِن أكذَبِ الناس علىٰ الله ـ تعالىٰ ـ وأَعْظَمِهِم فتنةً وضلالةً في الدِّين، وكان مِن أعظم الناس نفيًا لصفات الله ـ تعالىٰ ـ وأسمائه، قال الذهبي في الميزان: ما علمته روى شيئًا، لكنه زرع شرًّا عظيمًا، هلكَ زمن التابعين سنة (١٢٨هـ). انظر سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٤).

(٢) هو رأس المعتزلة؛ أبو الهذيل محمد بن الهذيل البصري، العلاف، صاحب التصانيف، الذي زعم أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي، بحيث إن حركات أهل الجنة تسكن، حتى لا ينطقوا بكلمة، وأنكر الصفات المقدسة حتى العلم والقدرة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٢).

مثل الحجارة لا يتحركون.

وابن القيم رحمه الله في النونية صور هذا المقال تصويرا بشعا، فقال رحمه الله عن مذهب الجهم ومن بعده مذهب أبي الهذيل[(١)]:

وقضى بأن النار لم تخلق ولا	جنات عدن بل هما عدمان
فإذا هما خلقا ليوم معادنا	فهنا علىٰ الأوقات فانيتان
وتلطف العلاف من أتباعه	فأتى بضحكة جاهل مجان
قال الفناء يكون في الحركات لا	في الذات واعجبا لذا الهذيان
أيصير أهل الخلد في جناتهم	وجحيمهم كحجارة البنيان
ما حال من قد كان يغشى أهله	عند انقضاء تحرك الحيوان
وكذاك ما حال الذي رفعت يداه	أكلة من صفحة وخوان
فتناهت الحركات قبل وصولها	للفم عند تفتح الأسنان
وكذاك ما حال الذي امتدت يد	منه إلىٰ قنو من القنوان
فتناهت الحركات قبل الأخذ هل	يبقى كذلك سائر الأزمان
تبا لهاتيك العقول فإنها	والله قد مسخت علىٰ الأبدان
تبا لمن أضحى يقدمها علىٰ ال	آثار والأخبار والقرآن

فدل على ان قول الهذيل بأنه تفنى الحركات من أبطل الباطل.

وقول الجهم أيضا جهل وضلال.

* * *

الثاني عشر: الرؤية، قال المؤلف: «**وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته**»؛ وذلك كما جاء في الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[(٢)]، وفي اللفظ الآخر: قال

(١) الكافية الشافية، الأبيات (٧٦ - ٨٧)

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، بَاب فَضْلُ صَلَاةِ الْعَصْر، رقم (٥٥٤)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٣٣).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**»[(١)].

يرون ربهم من فوق؛ فكل واحد لا يشق عليه أن يرى ربه من فوق، أما لو كان في أسفل واجتمع الناس فإنه ينظر القريب دون البعيد، وكما أننا نرى القمر من فوقنا فكذلك فإننا نرى ربنا من فوقنا، وليس المراد تشبيه الله بالقمر، إنما المراد: تشبيه الرؤيا بالرؤيا.

مذهب أهل البدع:

أنكر المعتزلة والجهمية رؤية الله في الآخرة، فقالوا بأن الله لا يرى؛ قالوا: الذي يُرى جسم، والله ليس بجسم.

- والرؤية ثابتة في القرآن، والأحاديث في ذلك متواترة، قال ابن القيم رحمه الله: (**وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها عنه أبو بكر الصدّيق، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري...**)، ثم ساق نحوًا من ثلاثين اسمًا للصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم[(٢)].

والآيات في الرؤية صريحة، قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفّفين: ١٥]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والزيادة قد ثبت في صحيح مسلم أنها رؤية الله يوم القيامة[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الآذان، بَاب فَضْلِ السُّجُودِ، رقم (٨٠٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٨٢).

(٢) انظر: «حادي الأرواح» (ص ٢٠٥).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٨١).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأؤمن بأن نبينا محمدًا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم.

وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ وأذكر محاسنهم، وأترضى عنهم، وأستغفر لهم، وأكف عن مساويهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء».



الشَّرْحُ

الإيمان بنبوة نبينا محمد ﷺ أحد قسمي الشهادة، فالشهادة لله تعالىٰ بالوحدانية هي القسم الأول، والشهادة للنبي محمد ﷺ هي القسم الثاني.

فأصل الدين وأساس الملة: أن تشهد لله تعالىٰ بالوحدانية وتشهد لنبيه محمد ﷺ بالرسالة، «أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله».

والشهادتان شيء واحد، مرتبطة إحداهما بالأخرى؛ فلا تصح إحداهما بدون الأخرى، وإذا ذُكرت إحداهما دخلت فيها الأخرى، فإذا أطلقت: «شهادة أن لا إله إلا الله» دخلت فيها: «شهادة أن محمدًا رسول الله»، وإذا أطلقت: «شهادة أن محمدًا رسول الله» دخلت فيها: «شهادة ألا إله إلا الله»، وإذا اجتمعتا فسرت الشهادة الأولى بوحدانية الله والثانية بإثبات النبوة للنبي ﷺ.

- ومن شهد ألا إله إلا الله ولم يشهد أن محمدًا رسول الله لم تقبل منه، ومن شهد أن محمدًا رسول الله ولم يشهد ألا إله إلا الله لم تقبل منه، فلا تقبل إحداهما إلا بالأخرى.

ولا يدخل الإنسان في الإسلام إلا بالشهادتين، «أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله».

وبهما يخرج المؤمن من الدنيا: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[1].

وهما مفتاح الجنة، وَقِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: «أَلَيْسَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ؟»، قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ»[2]،

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الجنائز، بَاب في التَّلْقِينِ، رقم (٣١١٦)، وأحمد في «المسند»: رقم (٢٢١٨٠)، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». «المستدرك» (١/ ٥٠٣)، وصححه ابن الملقن. «البدر المنير» (٥/ ١٨٩)، وَأَعَلَّهُ ابن الْقَطَّانِ بِصَالِحِ بن أبي عَرِيبٍ وَأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ، وَتَعَقَّبَ بِأَنَّهُ رَوَى عنه جَمَاعَةٌ، وَذَكَرَهُ ابن حِبَّانَ في «الثِّقَاتِ». «التلخيص الحبير» (٢/ ١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا في كِتَاب الْجَنَائِزِ، بَاب في الْجَنَائِزِ.

قال ابن حجر: «وقد روي هذا بسند ضعيف رواه البيهقي في «الشعب» من حديث معاذ بن جبل وذكر ابن إسحاق في السيرة أن النبي ﷺ قال للعلاء بن الحضرمي: «إذا سئلت عن مفتاح الجنة فقل مفتاحها «لا إله إلا الله»». «تغليق التعليق» (٢/ ٤٥٤).

والأسنان هي الأعمال، الصلاة، الصيام، الزكاة، والحج.

فإطلاق الشهادة لله بالوحدانية يدخل فيه الشهادة لنبيه ﷺ بالرسالة.

- ومن أنكر رسالة محمد ﷺ فهو كافر، ففي صحيح مسلم أنه ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[1].

○ قوله: «**خاتم النبيين**» فيجب الإيمان بأنه خاتم النبيين، ومن قال بأن بعده نبي فهو كافر.

ولا بد من الإيمان بعموم رسالته للثقلين - الإنس والجن - والعرب والعجم، فمن قال بأن رسالته خاصة بالإنس أو بالعرب فهو كافر، يكذبه قول الله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فلا بد من الإيمان بنبوة محمد ﷺ، ولابد من الإيمان بعموم رسالته للجن والإنس الثقلين والعرب والعجم، ولا بد من الإيمان بأنه خاتم النبيين والمرسلين، ولهذا قال المؤلف: «**ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته**»؛ فلا يكون مؤمنًا حتى يؤمن بالرسالة والنبوة.

○ قوله: «**وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى**».

هؤلاء هم أفضل الصحابة، فأفضل الناس بعد الأنبياء: «**أبو بكر**» هذه كنيته، واسمه: عبدالله بن عثمان، ولقبه: «**الصديق**».

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (١٥٣).

«**ثم عمر**» واسم أبيه: الخطاب، وكنيته: أبو حفص، ولقبه: «**الفاروق**».

«**ثم عثمان**» واسم أبيه: عفان، ولقبه: «**ذو النورين**»؛ وذلك أنه تزوج بابنتي النبي ﷺ، فتزوج رقية، ثم لما توفيت تزوج: أم كلثوم.

«**ثم علي**» واسم أبيه: أبوطالب ـ عم النبي ﷺ ـ وكنيته: أبوالحسن، ولقّبه هنا بـ: «**المرتضى**».

وترتيبهم في الفضيلة كترتيبهم في الخلافة، فأفضل الناس: أبو بكر رضي الله عنه، هو الخليفة الأول، ثم عمر رضي الله عنه، وهو الخليفة الثاني، ثم عثمان رضي الله عنه، وهو الخليفة الثالث، ثم علي رضي الله عنه، وهو الخليفة الرابع.

وقد كان حصل خلاف في ترتيب علي وعثمان رضي الله عنهما في الفضيلة:

فروي عن أبي حنيفة أن عليا مقدم علىٰ عثمان رضي الله عنهما، لا في الخلافة إنما في الفضيلة[١].

وقد روي عنه أنه رجع وذهب إلىٰ أن عثمان هو الأفضل، فوافق الجماعة[٢].

فهذا الخلاف خلاف يسير، يتعلق في الفضيلة.

أما من قدّم علي علىٰ عثمان رضي الله عنهما في الخلافة فهو كما قال العلماء: أضل من حمار أهله، كما قال الإمام أحمد رحمه الله: (من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله)[٣]؛ لأن الصحابة أجمعوا علىٰ تقديم عثمان رضي الله عنه، فمن قدم علي علىٰ عثمان بالخلافة

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (١/٥٤٨).

(٢) انظر: «الفقه الأكبر» (١/٤١)

(٣) انظر: العقيدة الواسطية (١١٨) منهاج السنة (١/٣٦٩)، ومجموع الفتاوى (٣/١٥٣) (٤/٤٣٨) (٤/٤٧٩)، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (١٦٣).

فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار[١] أي: احتقر رأيهم.

❍ قوله: «**ثم بقية العشرة**» أي: بقية العشرة من المبشرين بالجنة، وهم: سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة بن الجراح، وطلحة بن عبيد الله، وعبدالرحمن بن عوف، هؤلاء الستة بقية العشرة، وهم بعد الأربعة في الفضيلة.

❍ قوله: «**ثم أهل بدر**» أي: ثم بعد العشرةِ أهلُ بدر؛ وذلك لقول النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: «**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[٢].

❍ قوله: «**ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان**» أي: ثم بعد العشرةِ أهلِ بدر أهل بيعة الرضوان، وهم الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة، قال الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفَتْح: ١٨] وهذا سبب تسميتهم أهل بيعة الرضوان.

سُمُّوا أهلَ الشجرة؛ لأنهم بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة علىٰ الموت، وذلك لما أرسل النبي ﷺ عثمان رضي الله عنه ليخبر قريشا أنه ما جاء لقتال واحتبس عثمان، فشاع بين الصحابة أن عثمان رضي الله عنه قتل،

---

(١) جاء هذا عن أيوب السختياني وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل والدارقطني رحمهم الله. انظر: السنة للخلال (٢/ ٣٩٢)، وشرح السنة للبغوي (١/ ٢٢٩)، ومجموع الفتاوى (٣/ ١٦٢) (٣/ ٣٥٧) (٤/ ٤٢٢ - ٤٢٨) (١٣/ ٣٤)، ومنهاج السنة (١/ ١٤٣) (٨/ ٢٢٥)، والبداية والنهاية (٨/ ١٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَاب الْجَاسُوسِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المُمتحَنة: ١] التَّجَسُّسُ: التَّبَحُّثُ، رقم (٣٠٠٧)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٩٤).

فبايع النبي ﷺ الصحابة علىٰ الموت[(١)].

○ قوله: «ثم سائر الصحابة ﷺ» أي: ومن بعد هؤلاء المتقدم ذكرهم: بقيةُ الصحابة رضوان الله عليهم.

إذن ترتيبهم في الفضيلة هكذا:

الأربعة الخلفاء الراشدون، ثم الستة بقية العشرة، ثم أهل بدر - وكانوا ثلاث مائة وبضعة عشر -، ثم أهل بيعة الرضوان - وكانوا ألفًا وأربع مائة يزيدون قليلًا -، ثم بقية الصحابة رضوان الله عليهم.

○ قوله: «وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ» يعني: أحبهم وأواليهم، «وأذكر محاسنهم» محاسن أفعالهم، من الجهاد، وتبليغهم دينَ الله في مشارق الأرض ومغاربها، «وأترضى عنهم»؛ كما قال الله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] «وأستغفر لهم»؛ كما قال الله بعد ذكره المهاجرين والأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

○ قوله: «وأكف عن مساويهم وأسكت عما شجر بينهم» أي: أعرض عن ذكر المساوئ، وأسكت عن الخلاف وما شجر بينهم؛ **لأن الخلاف الذي حصل بينهم والنزاع والقتال مما يروى من الأخبار علىٰ ثلاثة أقسام:**

- قسم مكذوب لا أساس له من الصحة.
- قسم له أصل لكن زيد فيه ونقص.
- قسم صحيح.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، بَاب الْبَيْعَةِ فِي الْحَرْبِ أَنْ لَا يَفِرُّوا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَلَى الْمَوْتِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، رقم (٢٩٦٠)، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٦٠).

والصحيح هم فيه ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر واحد.

ثم الذنب المحقق: يكفره الله عنهم في مقابل عظيم أعمالهم الصالحة، وقد يكفره الله عنهم بسبب الأمراض، وقد يكفره عنهم بالسبق للإسلام، وقد يكفره عنهم بشفاعة النبي ﷺ، وهم أولى الناس بها رضوان الله عليهم.

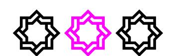
فحقيقة اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ كما ذكر المؤلف ـ:

تولي أصحاب رسول الله، وذكر محاسنهم، والترضي عنهم، والاستغفار لهم، والكف عن مساوئهم، والسكوت عما شجر بينهم.

○ قوله: «**وأعتقد فضلهم عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾** [الحشر: ١٠]» هذه الآية فيها الترضي عن أصحاب رسول الله، وأن الذين يترضون عنهم ويدعون لهم تابعون لهم، فمن كان في قلبه غل للصحابة ولم يترض عليهم فهو خارج عنهم كما بين العلماء.

○ قوله: «**وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء**» كذلك يقرر أهل السنة والجماعة الترضي عن زوجات النبي، وأنهن الطاهرات المطهرات؛ قد اختارهن الله لنبيه ﷺ فهن أفضل النساء، وهن زوجاته في الجنة رضي الله عنهن.

فمن طعن فيهن فإن في قلبه مرض ونفاق، وخصوصًا من يطعن في عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين المطهرة التي أنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات، فمن رماها بما برأها الله به فهو كافر بالله العظيم.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأقرّ بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالىٰ شيئًا، ولا يُطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله».

الشَّرْحُ

○ قوله: **«وأقرّ بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالىٰ شيئاً، ولا يُطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله»**، الأولياء هم المؤمنون الصالحون المتقون، فكل مؤمن متق فهو ولي لله.

والناس يتفاوتون في ولاية الله كتفاوتهم في الإيمان، قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يُونس: ٦٢-٦٣].

وأفضل الأولياء هم الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم يليهم الصحابة، ثم من تبعهم بإحسان، ويتفاوتون في ولاية الله علىٰ حسب تفاوتهم في الإيمان والتقوى، فمن كان أعظم إيمانًا وتقوى فهو أعظم ولاية، وتنقص الولاية بقدر نقص الإيمان والتقوى.

- وليس الولي كما يزعم الصوفية المخرفون أنه من يعلم الغيب، وتسقط عنه التكاليف، فهذا باطل؛ فالولي هو المؤمن المتقي، فتكون له كرامات في الدنيا، قد يجري الله علىٰ أيديهم خوارق؛ بسبب بركة اتباعهم للنبي ﷺ، مثل: ما حصل لبعض الصحابة.

والكرامة تنقسم إلىٰ نوعين :

النوع الأول: الكشف، فيكشف له ما لا يكشف لغيره، مثل: عمر رضي الله عنه كان يخطب الجمعة ويصيح وينادي قائده في العراق في نهاوند «يا سارية الجبل»[(١)]، فكشف له عن الجيش وأمر القائد أن يلزم الجبل، فلزم الجبل، فألقى الله الكلمة في أذن القائد.

فهذه من الكرامات مع المسافة الطويلة كشف له.

ومثل: عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فأضاءت لهم أسواطهم كالسرج، فلما افترقا أضاء لكل واحد سوطُه، حتى بلغ بيته[(٢)].

النوع الثاني: التأثير، كما كان لخالد بن الوليد رضي الله عنه لما حاصر حصنا من حصون الكفار، فقالوا: «لن نؤمن حتى تشرب السم»، فقال رضي الله عنه: «باسم الله، وشربه»، ولم يضره[(٣)]، فهذا مثال هذا النوع إن صح[(٤)].

ومثل: ما ذكر عن بعض الصحابة أنه سخر له الأسد فكان يحمل معه الحطب من البر إلىٰ بيته، هذه من الكرامات تحصل لبعض الصحابة، وبعضهم لا تحصل له.

---

(١) رواه أبو بكر بن خلاد في "الفوائد" (١/ ٢١٥/ ٢)، واللالكائي في كرامات الأولياء (٩/ ١٢٧)، والبيهقي في الاعتقاد (٣١٤)، وحسنه الألباني في السلسلة الصَّحِيحَة: (١١١٠). انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٦٠٥)، وتاريخ الطبري (٢/ ٥٥٣)، وأسد الغابة (٢/ ٣٦٤) وسارية هو: سارية بن زنيم الديلي، كما في المصادر السابقة.

(٢) أخرجه البخاري : كتاب المناقب، بَاب مَنْقَبَةُ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ وَعَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ رضي الله عنهما، رقم (٣٨٠٥).

(٣) انظر القصة كاملة في «تاريخ دمشق» (٣٧/ ٣٦٤).

(٤) قال الذهبي: «مناقب خالد كثيرة ساقها ابن عساكر، من أصحها: ما رواه ابن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت خالد بن الوليد أتي بسم، فقال: «ما هذا ؟»، قالوا: «سم»، فقال: «باسم الله وشربه». «تاريخ الإسلام» (٣/ ٢٣٢، ٢٣٣).

وأعظم الكرامات: الإيمان بالله تعالىٰ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أعظم الكرماة لزوم الاستقامة» فهذه الكرامات خوارق العادة تحصل لبعض المؤمنين، وهذه إذا حصلت لهم ببركة اتباعهم النبي عليه الصلاة والسلام هذه تسمى كرامة، أما ما يحصل علىٰ أيدي المشعوذين والسحرة فهذا يسمى حالة شيطانية؛ فخوارق العادات التي تجري علىٰ عادات الكفار والفساق هذه أحوال شيطانية، مثل: ما يحصل لبعض السحرة أن يطير في الهواء، وأن يحمل إلىٰ عرفة في وقت الحج ويرجع في يومه، ويرى أن هذا له فضل وهو لا أحرم ولا شارك الحجاج، فهذه أحوال شيطانية، تطير بهم الشياطين وتتمثل في هيئتهم تغرر بأتباعهم.

ومن ذلك: ما يحصل علىٰ يد المسيح الدجال في آخر الزمان، من أمره السماء أن تمطر فيمطرون، والأرض أن تنبت فتُنبت، وقطعِه الرجل نصفين فيقوم[(١)].

هذه الخوارق التي تجري للسحرة والكفار والمنافقين هي أحوال شيطانية، أما الخوارق التي تجري علىٰ أيدي المؤمنين، فهذه تسمى: كرامة، حصلت لهم ببركة اتباعهم للنبي ﷺ.

- والذي يجري علىٰ أيدي الأنبياء عليهم السلام يسمى: آيات ومعجزات، مثل: عصا موسى عليه السلام وإدخاله اليد في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، ومثل: تكثير الطعام للنبي ﷺ[(٢)]، ونبع الماء من بين أصابعه[(٣)].

---

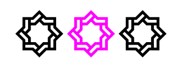
(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، رقم (٣٥٧٨)، ومسلم: كتاب الأشربة، رقم (٢٠٤٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، بَاب الْتِمَاسِ الْوَضُوءِ إِذَا حَانَتْ الصَّلَاةُ، رقم (١٦٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، رقم (٢٢٧٩).

فما يجري علىٰ يد النبي يسمى: آية ومعجزة، وما يجري علىٰ يد المؤمن الولي يسمى: كرامة، وما يجري من الخوارق علىٰ أيدي السحرة والكفار يسمى: حالة شيطانية.

○ قوله: «**إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالىٰ شيئًا**»، فالأولياء وكذا الأنبياء لا يستحقون من حق الله شيئًا، فلا يستحقون العبادة؛ إذ هي حق الله خالص، لا يستحقه نبي ولا ولي ولا غيرهم، فالله حقه العبادة، والرسول حقه الطاعة والمحبة والاتباع، والولي حقه الترضي عنه والاقتداء بعمله الطيب، أما العبادة فهي حق الله لا يعطى شيء لغير الله، ولهذا قال المؤلف: «**ولا يُطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله**» لا كما يظن بعض الناس، من إتيان القبور ودعاء أصحابها، والذبح لهم، والنذر لهم، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، فهذا شرك مع الله في عبادته.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ولكني أرجو للمحسن وأخاف علىٰ المسيء.

ولا أكفّر أحدًا من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام».

الشَّرْحُ

○ قوله: «**ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ**» هذه عقيدة أهل السنة والجماعة أنه لا يشهد لأحد بعينه بالجنة، ولا يشهد لأحد بعينه بالنار، إلا من شهدت له النصوص فنشهد لهم بالجنة، كالعشرة المبشرين بالجنة، وأهل بيعة الرضوان، قال النبي ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»(١)، كذلك أيضًا بلال من الذين شهد لهم بالجنة وابن عمر وعبدالله بن سلام.

أما غيرهم فلا نشهد له بعينه لكن نشهد بالعموم، فنقول: كل مؤمن في الجنة، وكل كافر في النار، أما فلان وفلان بعينه فلا نشهد له بالجنة، لكن نشهد بالعموم، فنرجو للمحسن ونخاف علىٰ المسيء.

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَاب فِي الْخُلَفَاءِ، رقم (٤٦٥٣)، والترمذي: كتاب المناقب، بَاب فِي فَضْلِ من بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، رقم (٣٨٦٠)، وأحمد في «المسند»: رقم (١٤٨٢٠).
قَالَ الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

قاعدة عامة: لا يُشهد لأحد بالجنة بعينه إلا من شهدت له النصوص، ولا يُشهد لشخص بعينه في النار إلا من شهدت عليه النصوص، مثل: أبو لهب، شهد له القرآن بأنه في النار[١]، وكذلك فرعون في النار[٢]، وممن شهدت له السنة بأنه في النار أبو جهل[٣] وما عدا من لم تشهد له النصوص بالجنة أو النار فلا نشهد له، بل نشهد بالجنة لعموم المؤمنين، ونشهد بالنار لعموم الكفار، أما الشخص بعينه إذا كان مستقيما علىٰ طاعة الله فنرجو له الخير، وإذا كان مفرطا في المعاصي فنخشى عليه من النار، ولكن لا نشهد له إنما نخاف عليه، فالمسيء نخاف عليه، والمحسن نرجو له، ولا نشهد لهذا بالجنة ولا لهذا بالنار إلا لمن شهدت له النصوص.

والكافر كذلك لا نشهد له بالنار إلا إذا شهدت له النصوص، أو عُلِم أنه مات علىٰ الكفر، وأنه ليس له شبهة، فهذا نشهد له بالنار، فإذا علم أنه مات علىٰ كفر مثلًا وقد قامت عليه الحجة، ودعي إلىٰ الإسلام، وقيل له: هذا شرك، ومات علىٰ ذلك فنشهد له حينئذ بالكفر، ونشهد عليه بالنار.

أما إذا كنت لا تعلم حاله؛ هل قامت عليه الحجة؟ هل له شبهة؟ هل بلغته الدعوة أم لم تبلغته الدعوة؟ فلا تشهد له بالنار، بل تشهد بالعموم، فكل كافر في النار، إلا إذا عَلِمْتَ أنه قد قامت عليه الحجة ومات علىٰ الكفر، فتشهد عليه بالكفر والنار جميعًا.

---

(١) سورة المسد.

(٢) [غافر/٤٦].

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، بَاب إِذَا أُلْقِيَ عَلَى ظَهْرِ الْمُصَلِّي قَذَرٌ أَوْ جِيفَةٌ لَمْ تَفْسُدْ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ، رقم (٢٤٠)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، رقم (١٧٩٤).

○ قوله: «**ولا أكفّر أحدًا من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام**» من عقيدة أهل السنة والجماعة: ألا يُكَفَّرَ أحدٌ من المسلمين بذنب، فالمعاصي لا يُكفرّون بها، ولكن يَنْقُصُ إيمانُهم ويضعف بها، إنما يكفر إذا فعل كفراً أو شركاً، بأن دعا غير الله أو ذبح لغير الله، أو جحد ربوبية الله، أو جحد ألوهيته، أو جحد نبيا من الأنبياء، أو جحد القيامة أو البعث، وهكذا.

أما إذا فعل معصية فلا يكفر.

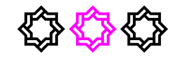
فلا يكفر أحد من المسلمين بذنب ما لم يستحلّه، فإذا استحل معلوما من الدين بالضرورة، كأن يستحل الزنا، أو الربا، أو الخمر، فهذا يدخل فيمن يُكذّب الله ورسوله.

أما إذا فعل الزنا وهو يعلم أنه حرام، أو شرب الخمر وهو يعلم أنها حرام، لكن فعل ذلك طاعة للشيطان، فهذا عاصٍ مذنب ضعيف الإيمان، ولكن لا يكفر.

والتكفير بالذنوب هو مذهب الخوارج، فهم يكفرون العاصي بالذنب.

والمعتزلة يقولون: خرج من الإيمان ولا يُدخله ذلك في الكفر، فصار بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، فيسمونه فاسقًا في الدنيا.

وفي الآخرة يتفق الخوارج والمعتزلة علىٰ أنه مخلد في النار، وهذا مذهب باطل؛ لأن أهل السنة والجماعة لا يُكفّرون المسلم بذنب ما لم يستحلّه، ولا يخرج من دائرة الإسلام إلا إذا فعل كفرًا.



قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأرى الجهاد ماضيًا مع كل إمام برًا كان أو فاجرًا، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة، والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً ﷺ إلىٰ أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل».

الشَّرْحُ

○ قوله: **«وأرى الجهاد ماضيًا مع كل إمام برًا كان أو فاجرًا»** أهل السنة والجماعة يجاهدون مع أئمة المسلمين، أبرارًا كانوا أو فجارًا؛ لأن فجوره ليس أعلىٰ من الشرك، والجهاد لا بد له من سايس يقوده، فهذا يحصل بالإمام البر والفاجر.

وكذلك الحج يُقام مع الإمام برًا كان أو فاجرًا، فعصيانه علىٰ نفسه.

فيقام الجهاد معه، ويقيم هو الحج ولو كان عاصيا، ولا يُخرج عليه.

○ قوله: **«وصلاة الجماعة خلفهم جائزة»** تقام صلاة الجماعة خلف أئمة المسلمين ولو كانوا فساقًا، فالصلاة خلفهم مع فسقهم جائزة؛ فإن الصحابة رضوان الله عليهم صلوا خلف بعض الفساق من الأئمة والأمراء، فصلوا خلف الحجاج وكان فاسقًا ظالمًا[(١)]، وصلوا خلف الوليد بن عقبة وهو يشرب الخمر، كما في المسند وأصله في الصحيح، أن الوليد بن عقبة صلى بالناس الصبح أربعا ثم

---

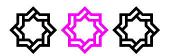
(١) كابن عمر كما عند ابن أبي شيبة في «المصنف»: كتاب الصلوات، باب في الصَّلَاة خَلْفَ الأَمَرَاءِ، رقم (٧٥٥٩).

التفت إليهم، فقال: أَزِيدُكُمْ؟ فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُجْلَدَ[(١)] والشاهد منه: أن الصلاة تصلى خلف الأئمة؛ لأن تَرْك الصلاة خلفهم يفرق المسلمين، ويجعلهم شيعًا وأحزابًا، والصلاة خلفهم تجمع المسلمين، ثم إن فجوره علىٰ نفسه، فيناصح، والنصيحة مبذولة من أهل العلم، فإن قبل فالحمد لله، وإن لم يقبل فقد أدوا ما عليهم.

○ قوله: **«والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً ﷺ إلىٰ أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال»**: فالجهاد باق في سبيل الله، لا ينقطع ولا يبطل حتى بعد قتل الدجال، فإن عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل صار فردًا من أفراد الأمة المحمدية، ويحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ، ويقتل الدجال.

ويجاهِد عليه السلام الكفار، والمؤمنون يجاهدون معه حتى بعد قتل الدجال، ويُحج هذا البيت بعد قتل الدجال، ويعتمر، ولهذا **قال**: **«والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً إلىٰ أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل»** سواء كان فاجرًا، يعني: عاصيًا أو مطيعًا، فالجهاد معه ماض، والمسلمون يجاهدون معه ولو كان عاصياً.

- وعيسى عليه السلام هو أفضل هذه الأمة بعد نبيها، ثم يليه أبو بكر، **فإذا قيل**: رجل من هذه الأمة أفضل من أبي بكر بعد نبينا محمد ﷺ، **فيقال**: عيسى عليه السلام، فعيسى نبي وهو من هذه الأمة.



(١) أخرجه أحمد في «المسند» رقم (١٢٢٩)، وهو عند الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الحدود، رقم (١٧٠٧) مع اختلاف في السياق.

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله.

ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه».

الشَّرْحُ

يجب السمع والطاعة لولي الأمر ما لم يأمر بمعصية، فإذا أمر بطاعة فيطاع، وإذا أمر بأمور مباحة فيطاع، أما إذا أمر بمعصية فلا يطاع؛ كما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[(١)]، ولقوله ﷺ: «**لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ** ﷻ».

وليس معنى أنه لا يطاع إذا أمر بمعصية أن نتمرد عليه ونخرج عليه ونقاتله، بل إنما لا يطاع في هذه المعصية؛ كما أنه إذا أمر الأبُ ابنَه بمعصية فلا يطيعه، وليس معناه أن يتمرد علىٰ أبيه ويعقه، بل لا يطيعه فقط في المعصية، ومع ذلك يتلطف معه في عدم الاستجابة وينصحه، فإذا أمر الأب ابنه بأن يشتري له دخانا ـ مثلا ـ، فيقول لأبيه: يا والدي شرب الدخان لا يجوز، وليس لي أن أطيعك في معصية، وحقك علي عظيم فأطيعك في كل شيء إلا في معصية

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأحكام، بَاب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، رقم (٧١٤٥)، ومسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٤٠).

الله، وهكذا يطيعه فيما عدا ذلك.

وكذلك الزوجة إذا أمرها زوجها بمعصية فلا تطيعه، لكن ليس معنى ذلك أن تتمرد عليه وتخرج عن طاعته.

وكذلك السيد إذا أمر عبده بمعصية فلا يطيعه العبد، لكن ليس معنى هذا أن يتمرد علىٰ سيده ولا يطيعه، إنما لا يطيعه في المعصية فقط.

❍ قوله: «**ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه**»

تثبت الولاية بأمور:

الأمر الأول: باختيار وانتخاب أهل الحل والعقد؛ كما ثبتت الخلافة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد اختاره أهل الحل والعقد[1]، كذلك عثمان رضي الله عنه، قد أجمع أهل الحل والعقد علىٰ اختياره خليفة فثبتت له الخلافة[2].

الأمر الثاني: تثبت بولاية العهد، كما عَهِد أبو بكر الصديق لعمر رضي الله عنهما بالخلافة فثبتت له[3].

الأمر الثالث: إذا غلبهم وغالبهم بسيفه، ثم اجتمع عليه الناس

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فخلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة علىٰ صحتها وثبوتها ورضا اللَّه ورسول اللَّهِ له بها، وانعقدت بمبايعة المسلمين له، واختيارهم إياه اختيارا، استندوا فيه إلىٰ ما علموه من تفضيل اللَّهِ ورسوله، وأنه أحقهم بهذا الأمر عند اللَّهِ ورسوله فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعا»، «منهاج السنة النبوية» (١/ ٥٢٤).

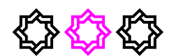
(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، بَاب قِصَّةِ الْبَيْعَةِ وَالِاتِّفَاقِ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَفِيهِ مَقْتَلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنهما، رقم (٣٧٠٠).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٠٠)، «الإمامة والسياسة» لابن قتيبة (١/ ٢٢)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٥٢)، «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٤١١).

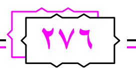
ورضوا به، فتثبت له الخلافة، ويجب له السمع والطاعة، فإذا جاء أحد ينازعه فإنه يقتل الثاني؛ كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ**»(١)؛ وذلك لأن الثاني أراد أن يفرق الأمة بعد أن اجتمعوا على الأول.

فصارت الخلافة والولاية تثبت بأحد أمور ثلاثة، كأبي بكر وعثمان رضي الله عنهما اجتمعوا باختيار أهل الحل والعقد، وكعمر رضي الله عنه بولاية العهد، ومن بعدهم إنما ثبتت الخلافة والولاية له بالقوة والغلبة أو بولاية العهد.

هكذا قرر المؤلف رحمه الله أن من غلب بسيفه واجتمع عليه الناس ورضوا به، ثبتت له الخلافة، فليس للناس أن يخرجوا عليه، ويجب له السمع والطاعة بالمعروف.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، رقم (١٨٥٢).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلىٰ الله، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة».

الشَّرْحُ

○ قوله: «وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا»البدع جمع: بدعة، **والبدعة هي**: الحدث في الدين، يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**» رواه الشيخان البخاري ومسلم[1]، وفي لفظ لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[2]، فكل حدث في الدين فإنه يرد علىٰ صاحبه، فالذي يأتي ببدعة ويُحْدِث في الدين أقوالا وأذكارا وأفعالا، يُنصح ويطلب منه الرجوع إلىٰ الحق، فإن قبل وإلا فإنه يهجر، وذلك بمعنى أنه لا يكلم ولا يرد عليه، حتى يتوب فإذا تاب فإنه يفك عنه الهجر.

ومن العلماء من قال: ينظر في حال المبتدع، فإن كان الهجر يفيد معه ويرتدع به عن المعصية فإنه يهجر، وإن كان الهجر يزيده شرًا فلا يهجر، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[3]؛ لأن الهجر

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلح، بَاب إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم: كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الأقضية، رقم (١٧١٨).

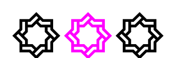
(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٠٥، ٢٠٦).

كالدواء، فإن كان يفيد أخذ به، وإن كان لا يفيد فلا يؤخذ به، فبعض الناس إذا هجرته زاد في الشر والمعاصي، وإذا لم تهجره صار يراعي بعض الشيء، كما هجر النبي ﷺ كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهم[1] هجرهم النبي ﷺ خمسين ليلة؛ لأن الهجر يفيدهم، ولم يهجر المنافقين؛ لأن هجرهم لا يفيد.

○ قوله: «**حتى يتوبوا**» أي: حتى يتوبوا من البدعة، فإذا تابوا فإنه يعود عليهم ما كان من الصفاء والقرب.

○ قوله: «**وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلىٰ الله**» فمن كان يُظهر المعصية فأحكم عليه بالمعصية، أما الباطن فلا يعلمه إلا الله، فنيته وقصده تُوكَل إلىٰ الله، لكن نعمل بالظاهر، فإن أظهر لنا خيرًا أحسنا به الظن، وإن أظهر لنا شرًا أسأنا به الظن، وأما السرائر فلا يعلم بها إلا الله.

○ قوله: «**وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة**»كل حدث في دين الله يخالف ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من الأقوال أو الأفعال والاعتقادات فهذا هو البدعة.



(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، بَاب حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَقَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨]، رقم (٤٤١٨)، ومسلم: كتاب التوبة، رقم (٢٧٦٩).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأعتقد أن الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهو بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علىٰ ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة».

الشَّرْح

مذهب أهل السنة والجماعة **«أن الإيمان قول باللسان»** وهو: الإقرار بالنطق باللسان، **«وعمل بالأركان»** أي: بالجوارح صلاة وصيام وزكاة وحج، **«واعتقاد بالجنان»** أي: بالقلب، باعتقاد ألوهية الله والإيمان بالله وبالملائكة، وبالكتب، وبالرسل وباليوم الآخر وبالقدر، هذه كلها عقيدة القلب.

وقال بعضهم: الإيمان هو: قول وعمل.

فالقول قسمان:

قول اللسان، وهو النطق.

قول القلب وهو: التصديق.

والعمل قسمان:

عمل القلب وهو: النية والإخلاص والمحبة والرهبة والرغبة والخوف والرجاء.

عمل الأركان بالجوارح الصلاة الصيام.

إذن فالإيمان مكون من أربعة أشياء: قول اللسان، وقول القلب، وعمل القلب، وعمل اللسان.

وقال بعضهم: الإيمان قول وعمل ونية.

وقال بعضهم: الإيمان قول وعمل ونية وسنة.

وقال بعضهم ـ كما قال المؤلف ـ: قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان. **لكن ليس في هذا**: عمل بالقلب، وهو غير اعتقاد الجنان.

○ قوله: «**يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية**» إذا فعل الإنسان طاعة زاد الإيمان، وإذا فعل معصية نقص الإيمان.

○ قوله: «**وهو بضع وسبعون شعبة، أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق**».

هذا إشارة إلىٰ الحديث الذي رواه أبو هريرة والشيخان البخاري ومسلم عن النبي ﷺ قال: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً**» هذه رواية مسلم[1]، ورواية البخاري: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً**»[2]، رواية البخاري «**بِضْعٌ وَسِتُّونَ**» ورواية مسلم «**بِضْعٌ وَسَبْعُونَ**» فأعلىٰ هذه الشعب: كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وبين الأعلىٰ والأدنى شعب كثيرة، فالصلاة شعبة، والصيام شعبة، والزكاة شعبة، والحج شعبة، والأمر بالمعروف شعبة، والنهي عن المنكر شعبة، وبر الوالدين شعبة،

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم (٣٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، بَاب أُمُورِ الْإِيمَانِ، رقم (٩).

وصلة الأرحام شعبة، وهكذا أشياء كثيرة، كم عددها؟

• الجواب: بضع وسبعون، والبضع: من ثلاثة إلىٰ تسعة، والبيهقي رَحِمَهُ اللهُ ألف مؤلفًا استقصى وتتبع هذه الشعب، وأوصلها إلىٰ تسع وسبعين شعبة، وألف كتابا سماه: شعب الإيمان، تتبع هذه الشعب من النصوص.

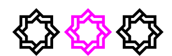
إذن فالإيمان متعدد ليس شيئًا واحدًا، فهو أعمال وأقوال واعتقادات، ففي الحديث ذكر الأعلىٰ وهو كلمة التوحيد، وهو النطق، والأدنى إماطة الأذى عن الطريق، وهو عمل بدني، والحياء عمل قلبي.

فمثَّل الرسول ﷺ للأعلىٰ والأدنى، ومثل لأعمال القلب وأعمال الجوارح وقول اللسان.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: **«وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علىٰ ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة»** يعني: المؤلف يرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ قال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤] ﴿وَلْتَكُن﴾ هذا أمر ووجوب دلالة علىٰ أنه واجب، لكنه واجب وجوب الكفاية، ﴿أُمَّةٌ﴾ أي: طائفة تقوم بهذا الأمر، فإذا قامت به سقط عن الباقي، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علىٰ الكفاية، فإذا قام به من يكفي سقط عن الإثم الباقي، وإذا تركته الأمة أثمت جميعا، **مثل**: الصلاة علىٰ الميت واجب كفاية، إذا صلى واحد أو اثنين علىٰ الميت سقط الوجوب، وإن تركت الأمة جميعها الصلاة علىٰ الميت أثموا كلهم، **ومثل**: تغسيل الميت، هو من الواجبات علىٰ الكفاية،

وكذا: دفن الميت، واجب علىٰ الكفاية لا علىٰ الأعيان.

ومن ذلك: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا ظهر المنكر فيجب علىٰ الأمة أن تنكره، فإذا أنكره شخص أو جماعة سقط الإثم عن الباقين، وإذا تركت الأمة النهي عن المنكر أثموا جميعًا، وإذا انتشرت المنكرات ولم تنكر عمت العقوبات الصالح والطالح، وفي الحديث: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابِهِ**»[1]، وقال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فحصر الإيمان بالله في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وجوبا كفائيًا، فمن علم بالمنكر فيجب عليه أن ينكره، وكذلك المعروف يجب علىٰ الإنسان أن يأمر به عند الحاجة إليه، ولهذا قال المؤلف: «**علىٰ ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة**».



(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الفتن، بَاب الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عن الْمُنْكَرِ، رقم (٤٠٠٥)، وأحمد في «المسند»: رقم (١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٣٩٨) رقم (١٩٧٤).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشتغل البال؛ لتطلعوا على ما عندي، والله على ما نقول وكيل.

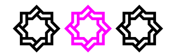
ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أن الرجل افترى عليَّ أمورًا لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي».

الشَّرْحُ

وصف المؤلف رَحِمَهُ اللهُ حاله أنه حين كتب هذه الرسالة الوجيزة ـ أي: المختصرة ـ كان مشتغل البال، ومع ذلك حرص على بعث ما عنده من المعتقد؛ لأن بعض الناس يشكك في دعوته رَحِمَهُ اللهُ، ومن ذلك ما نفاه عن نفسه مما كتب ابن سحيم فرية عليه، وصدّقه فيه بعض المنتمين للعلم.

وهذا الكلام من المؤلف فيه بيان لحال الرجل وأنه افترى عليه أمورا لم يقلها.

وسيأتي في كلام المؤلف ذكر لبعض ما حضره مما افترى عليه ابن سحيم.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«فمنها: قوله «إني مبطل كتب المذاهب الأربعة»، وإني أقول: «إن الناس من ستمائة سنة ليسوا علىٰ شيء»، وإني أدعي الاجتهاد، وإني خارج عن التقليد، وإني أقول: «إن اختلاف العلماء نقمة»، وإني أكفّر من توسل بالصالحين، وإني أكفّر البوصيري لقوله «يا أكرم الخلق»، وإني أقول: «لو أقدر علىٰ هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها، ولو أقدر علىٰ الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابًا من خشب»، وإني أحرم زيارة قبر النبي ﷺ، وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما، وإني أكفّر من حلف بغير الله، وإني أكفّر ابن الفارض وابن عربي، وإني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه «روض الشياطين».

جوابي عن هذه المسائل أن أقول: «سبحانك هذا بهتان عظيم»، وقبله من بهت محمدًا أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: ١٠٥] **الآية، بهتوه ﷺ بأنه يقول: إن الملائكة وعيسى وعزيرًا في النار فأنزل الله في ذلك:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١]».



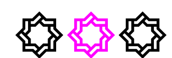
الشَّرْحُ

المؤلف المجدد محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ ينفي عن نفسه ما

رماه به أعداؤه، ويبين للناس الحق.

وقد بين المؤلف أن هذه كلها تهم رماها به أعداؤه للتنفير من هذا الدين، وليس لهذه التهم ما يدل عليها.

فالمقصود أن هذه التهم يلصقها بعض الناس بالإمام وأئمة الدعوة، والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفاها وأبطلها وتبرأ منها.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وأما المسائل الأخَر وهي: أني أقول «لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى «لا إله إلا الله»، وأني أعرّف من يأتيني بمعناها، وأني أكفّر الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله، وأخذ النذر لأجل ذلك وأن الذبح لغير الله كفر والذبيحة حرام، فهذه المسائل حق وأنا قائل بها، ولي عليها دلائل من كلام الله وكلام رسوله ومن أقوال العلماء المتبعين كالأئمة الأربعة، وإذا سهل الله تعالىٰ بسطت الجواب عليها في رسالة مستقلة إن شاء الله تعالىٰ.

ثم اعلموا وتدبروا قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ **الآية** [الحُجرَات: ٦]».

الشَّرْح

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فصّل في المسائل المنسوبة إليه في رسالة ابن سحيم، فمنها ما رمي بها مما لم يقله، ومنها ما هو حق مما يخفى علىٰ كثير من أهل زمانه، فمن ذلك:

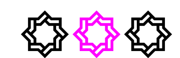
الذي ينذر لغير الله، كأن يقول: «إن شفى الله مريضي لأذبحن خروفا علىٰ روح النبي أو علىٰ روح البدوي» فهذا كفر، فمن نذر لغير الله، صلاة أو ذبحا أو غيره فهو مشرك بالله في العبادة.

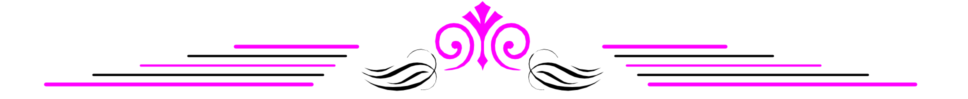
كذلك من ذبح للصنم أو ذبح للنجم أو ذبح لآدمي فهو مشرك، وذبيحته حرام؛ لأنها ميْتة لا تؤكل.

ثم أمرهم المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بتدبر قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجرَات: ٦] يريد رَحِمَهُ اللَّهُ:

ألا يتم تناقل الأخبار إلا ما صح منها.

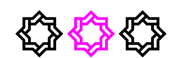
وأنه إذا جاء أحد بخبر فلا بد من التثبت.

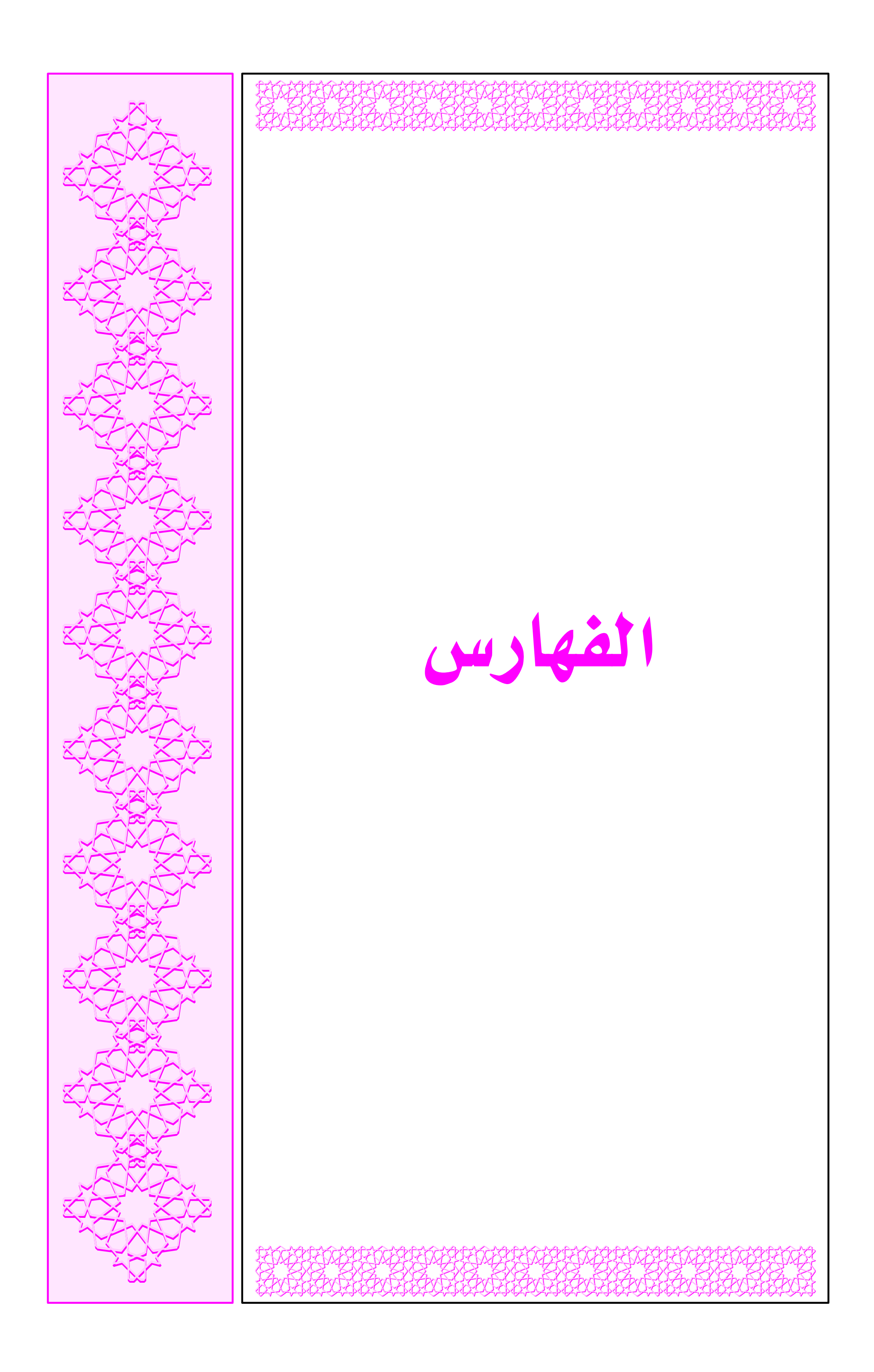




الخاتمة

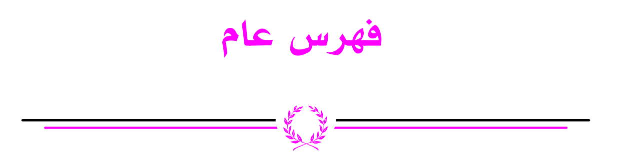
وفق الله الجميع لطاعته، وثبتنا الله علىٰ دين الهدى، ورزق الجميع العلم النافع والعمل الصالح؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك علىٰ عبدالله ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين.





الفهارس

فهرس عام



فهرس موضوعات شرح الأصول الثلاثة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع — رقم الصفحة

فهرس موضوعات شرح القواعد الأربع

الموضوع | رقم الصفحة

فهرس موضوعات تبصير الأنام بشرح نواقض الإسلام

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

فهرس موضوعات شرح رسالة الإمام محمد بن عبدالوهاب لأهل القصيم في بيان عقيدته

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة